

سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية

وآياتها ٧٧ [نزلت بعد يس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

البركة: كثرة الخير وزيادته. ومنها ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وفيه معنيان: تزايد
خيره، وتكاثره. أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. والفرقان: مصدر
فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل. أو لأنه ٢/
٤٧ ب لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقاً، مفصلاً بين بعضه وبعض في الإنزال^(١). ألا
تري إلى قوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَزَلَّاتُ نَزِيلًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقد
جاء الفرق بمعناه^(٢)؛ قال: [الرجز]

وَمُشْرِكِي كَافِرٍ بِالْفَرْقِ^(٣)

وعن ابن الزبير - رضي الله عنه -: على عباده. وهم رسول الله - ﷺ - وأمته، كما
قال ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]. والضمير
في ﴿يَكُونُ﴾ لعبده أو للفرقان. ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾
للجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ منذراً أي ومخوفاً أو إنذاراً، كالنكير بمعنى الإنكار. ومنه قوله

(١) قال محمود: «يجوز أن يراد بوصفه بالفرقان تفريقه بين الحق والباطل، ويجوز أن يراد نزوله مفروقاً
شيئاً فشيئاً كما قال. وقرآنًا فرقناه» قال أحمد: والأظهر هنا هو المعنى الثاني؛ لأن في أثناء السورة
بعد آيات ﴿وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي أنزلناه مفروقاً
كذلك ﴿لنثبت به فؤادك﴾ فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة - والله أعلم - كالمقدمة والتوطئة
لما يأتي بعد.

(٢) قوله «وقد جاء الفرق بمعناه» في الصحاح: والفرق أيضاً: الفرقان. ونظيره: الخسر والخسران. قال
الراجز: وشركي... إلخ. (ع)

(٣) ينظر لسان العرب (فرق)، (شرك)، ديوان الأدب (١/١٥٧)، تاج العروس (فرق)، (شرك).

تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: ٣٠]، ﴿الَّذِي لَمْ يَرْفَعْ عَلَى الْإِبْدَالِ مِنَ الَّذِي نَزَلَ أَوْ رَفَعَ عَلَى الْمَدْحِ. أَوْ نَصَبَ عَلَيْهِ. فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جاز الفصل بين البديل والمبدل منه؟ قلت: ما فصل بينهما بشيء؛ لأن المبدل منه صلته نزل. و﴿يَكُونُ﴾ تعليل له، فكأن المبدل منه لم يتم إلا به. فإن قلت: في الخلق معنى التقدير، فما معنى قوله: ﴿وَوَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ كأنه قال: وقدّر كل شيء فقدّره؟ قلت: المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثاً مراعي فيه التقدير والتسوية، فقدّره وهياً لما يصلح له، مثاله: أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوي الذي تراه، فقدّره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا، وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجيلة المستوية المقدّرة بأمثلة الحكمة والتدبير، فقدّره لأمر ما ومصلحة مطابقاً لما قدر له غير متجاف عنه. أو سمي إحداث الله خلقاً لأنه لا يحدث شيئاً لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت، فإذا قيل: خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك: أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق، فكأنه قيل: وأوجد كل شيء فقدّره في إيجاده لم يوجد متفاوتاً. وقيل: فجعل له غاية ومتتهى. ومعناه: فقدّره للبقاء إلى أمد معلوم.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الأنبياء: ٢٢]

الخلق بمعنى الافتعال، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [المنكوت: ١٧]، والمعنى: أنهم أثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم، لا يقدرّون على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد، حيث لا يفتعلون شيئاً وهم يفتعلون، لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون، وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الأنبياء: ٢٤]

﴿قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ قيل: هم اليهود. وقيل: عداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي، وأبو فكية الرومي: قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار. «جاء» «وأنى» يستعملان في معنى فعل، فيعديان تعديته، وقد يكون على معنى: وردوا ظلماً، كما تقول: جئت المكان. ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل.

وظلمهم: أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاماً عربياً أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب. والزور: أن بهتوه بنسبة ما هو بريّ منه إليه.

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٥)

﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار، جمع: أسطار أو أسطورة كأحدوثه ﴿ اكْتَتَبَهَا ﴾ كتبها لنفسه وأخذها، كما تقول: استكتب الماء واصطبه: إذا سكبها وصبه لنفسه وأخذها. وقرئ: اكتتبها على البناء للمفعول. والمعنى: اكتتبها كاتب له؛ لأنه كان أميناً لا يكتب بيده، وذلك من تمام إعجازه، ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب، كقوله: ﴿ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ثم بنى الفعل للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعاً مستتراً بعد أن كان بارزاً منصوباً، وبقي ضمير الأساطير على حاله، فصار ﴿ اكْتَتَبَهَا ﴾ كما ترى^(١). فإن قلت: كيف قيل: اكتتبها ﴿ فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ ﴾ وإنما يقال: أمليت عليه فهو يكتبها؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أراد اكتتابها أو طلبه فهي تملي عليه. أو كتبت له وهو أميّ فهي تملي عليه: أي تلقي عليه من كتابه يتحفظها؛ لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب. وعن الحسن: أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار؛ ووجهه أن يكون نحو قوله [من المنسرح]:

أَفَرِحَ أَنْ أَرَزَا الْكِرَامَ وَأَنْ أَوْرَثَ ذُوداً شَصَائِصًا نَبَلًا^(٢)

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين؛ لأن اكتتبها له كاتب وصل الفعل فيه لمفعولين أحدهما مُسْرَحٌ وهو ضمير الأساطير والآخر مُقَيَّدٌ وهو ضميره عليه السلام ثم أتبع في الفعل فحذف حرف الجرّ فصار اكْتَتَبَهَا إياه كاتب فإذا بنى هذا للمفعول إنما ينوب عن الفاعل المفعول المُسْرَحُ لفظاً وتقديراً لا المُسْرَحُ لفظاً المُقَيَّدُ تقديراً فعلى هذا كان يكون التركيب اكْتَتَبَهَا وعلى هذا الذي قلناه جاء السماع قال الفرزدق [من الطويل]:

وَمِمَّا الَّذِي اخْتَبِرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً وَجُوداً إِذَا هَبَّ الرَّيَاحُ الرَّعَازُغُ

وَلَوْ جَاءَ عَلَى مَا قَدَرَهُ الزَّمخَشَرِيُّ لَجَاءَ التَّرْكِيبُ: وَمِمَّا الَّذِي اخْتَبِرَهُ الرَّجَالَ لِأَنَّ اخْتَبِرَ تَعَدَّى إِلَى الرَّجَالَ بِإِسْقَاطِ حَرْفِ الْجَرِّ إِذْ تَقْدِيرُهُ اخْتَبِرَ مِنَ الرَّجَالَ. قُلْتُ: وَهُوَ اعْتِرَاضٌ حَسَنٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَذْهَبِ الْجُمْهُورِ وَلَكِنَّ الزَّمخَشَرِيَّ قَدْ لَا يَلْتَزِمُهُ وَيُؤَافِقُ الْأَخْفَشَ وَالْكَوْفِيَّ وَإِذَا كَانَ الْأَخْفَشُ وَهُمْ يَتْرَكُونَ الْمُسْرَحَ لَفْظاً وَتَقْدِيرًا وَيَقِيمُونَ الْمَجْرُورَ بِالْحَرْفِ مَعَ جُودِهِ فَهَذَا أَوْلَى وَأَجْدَى. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْجُمْلَةَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى ﴾ مِنْ تَمَةِ قَوْلِ الْكُفَّارِ، وَعَنْ الْحَسَنِ إِنَّهَا مِنْ كَلَامِ الْبَارِي تَعَالَى وَكَانَ حَقُّ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا أَنْ يُقْرَأَ «اكْتَتَبَهَا» بِهَمْزَةٍ مَقْطُوعَةٍ مُفْتَوِّحَةٍ لِلِاسْتِفْهَامِ كَقَوْلِهِ: ﴿ أَفَرِحَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ وَيُمْكِنُ أَنْ يُعْتَدَرَ عَنْهُ أَنْ حَذَفَ الْهَمْزَةَ لِلْعِلْمِ بِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَىٰ ﴾. الدَّر الْمَصُون.

(٢) إن كنت أزنستني بها كذبا جزء فلاقبت بعدها عجلا =

وحق الحسن أن يقف على الأولين ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي دائماً، أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس. وحين يأوون إلى مساكنهم.

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٦﴾

أي يعلم كل سرّ خفي في السموات والأرض. ومن جملة ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله - ﷺ - مع علمكم أنّ ما تقولونه باطل وزور، وكذلك باطن أمر رسول الله - ﷺ - وبراءته مما تبهتونه به، وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه. فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ هذا المعنى؟ قلت: لما كان ما تقدّمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه؛ لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة. أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبّاً، ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم: يمهل ولا يعاجل.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَبْتَئِي فِي الْأَنْزَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِقُ ٢/٤٤٨ إِلَيْهِ كَذْرًا أَوْ تَكُونُ لَهُمْ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ﴿٨﴾

وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي. وخط المصحف سنة لا تغير. وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم

= أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصانصا نبلا

لحزرمي بن عامر، يخاطب جزء بن سنان بن مؤلة حين اتهمه بسروره بأخذ دية أخيه القتيل، وقيل: لجريز، وليس بذلك. وجزؤ - بفتح فسكون - وإن هنا للشرط مجرداً عن الشك، أو بمعنى إذ. وأزنتني: أي تهمتني بها: أي بتلك الفعلة الرذيلة كذبا منك يا جزؤ، فهو منادى، فلاقت أنت بعدها عجلا: دعاء عليه بأن ينال مثلها سريعاً، وينظر هل يفرح أو يحزن؟ وروي: فلاقت مثلها عجلا. أفرح، أي: أفرح بأن أرزأ الكرام وأصاب فيهم، فحذفت همزة الاستفهام الإنكاري أو التعجبي على فرض الوقوع لدلالة المقام عليها، وليصور الكلام بصورة الأخبار والإنبات، فيظهر للخصم قبح دعواه. وأرزأ: مبني للمجهول، وكذلك أورث، أي: أعطى ذودا: أي قطعاً من الإبل بعد موتهم. والذود: ما بين الثلاثة إلى العشر، مؤنث لا واحد له من لفظه، عبر به عن الدية كلها استقلالاً وتحقيراً لها. ولذلك وصفه بشصانصا: جمع شصوص، وهي الناقة القليلة اللبن. وصرفه للوزن. والنبل - كسبب؛ جمع نبيل. ويروى بالضم، فهو جمع نبيل أيضاً، ككرماً وكريم، أو جمع نبلة، كغرف وغرفة: أي الصغار أو النجائب فهو من الأضداد؛ لكن الأول أوفق بالمقام. ويجوز أن الدية كانت عشرة.

ينظر: التهذيب (١١/٢٦٣)، اللسان: جزء، الدر المصون (٥/٢٤٣).

وطنز^(١)، كأنهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول. ونحوه قول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، أي: إن صحَّ أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ﴿يَأْكُلُ أَطْعَمًا﴾، كما نأكل؛ ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش. ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك، حتى يتساندا في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا أيضاً فقالوا: وإن لم يكن مرفوداً بملك، فليكن مرفوداً بكنز يلقي إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش. ثم نزلوا فاقنعوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه ويرتق كما الدهاقين والمياسير. أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم. وأراد بالظالمين: إياهم بأعيانهم: وضع الظاهر موضع المضمحل ليجعل عليهم بالظلم فيما قالوا. وقرئ: فيكون، بالرفع. أو يكون له جنة، بالياء، ونأكل بالنون. فإن قلت: ما وجه الرفع والنصب في فيكون؟ قلت: النصب لأنه جواب «لولا» بمعنى «هلا» وحكمه حكم الاستفهام. والرفع على أنه معطوف على أنزل، ومحل الرفع، ألا تراك تقول: لولا ينزل بالرفع، وقد عطف عليه: يلقي، وتكون مرفوعين، ولا يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا، ولا يكون إلا مرفوعاً. والقائلون هم كفار قريش النصر بن الحرث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن خويلد ومن ضامهم ﴿مَسْحُورًا﴾ سحر فغلب على عقله. أو ذا سحر، وهو الرثة: عنوا أنه بشر لا ملك.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٤﴾

﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة، من نبوة مشتركة بين إنسان وملك. وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك، فبقوا متحيرين ضلالاً، لا يجدون قولاً يستقرون عليه. أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقاً إليه.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ

قُصُورًا﴾ ﴿٥﴾

تكاثر خير ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ﴾ وهب لك في الدنيا ﴿خَيْرًا﴾ مما قالوا، وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور. وقرئ: ويجعل بالرفع عطفاً على

(١) قوله «وطنز» في الصحاح «الطنز»: السخرية. (ع)

جعل^(١)؛ لأن الشرط إذا وقع ماضياً، جاز في جزائه الجزم والرفع؛ كقوله: [من البسيط]:
 وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ: لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمٌ^(٢)
 ويجوز في ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ﴾ إذا أدغمت: أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعاً.
 وقرئ بالنصب، على أنه جواب الشرط بالواو.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا
 لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا صَبِيحًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا
 الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ عطف على ما حكى عنهم. يقول: بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو
 تكذيبهم بالساعة. ويجوز أن يتصل بما يليه، كأنه قال: بل كذبوا بالساعة، فكيف يلتفتون
 إلى هذا الجواب، وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون
 بالآخرة. السعير: النار الشديدة الاستعار. وعن الحسن - رضي الله عنه -: أنه اسم من
 أسماء جهنم ﴿رَأَتْهُمْ﴾ من قولهم: دورهم تترأ^(٣)، أي: وتتناظر. ومن قوله - ﷺ - «لا
 تراءى ناراهما» (١٠٦١) كأن بعضها يرى بعضاً على سبيل المجاز. والمعنى: إذا كانت
 منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها. وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر.
 ويجوز أن يراد: إذا رأتهم زبانتها تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار وشهوة للانتقام منهم.
 الكرب مع الضيق، كما أن الروح مع السعة، ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها

 ١٠٦١ - تقدم في المائة.

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر من حيث إن من جملة من قرأ بذلك وهو نافع والأخوان وحفص
 ليس من أصولهم الإدغام حتى يدعي لهم في هذا المكان. نعم أبو عمرو أصله الإدغام وهو يقرأ
 هنا بسكون اللام فيحتمل ذلك على قراءته وهذا من محاسن علم النحو والقراءات معاً. انتهى. الدر
 المصون.

(٢) تقدم.

(٣) قال محمود: هو من قولهم: دور بني فلان تترأ، أي على المجاز؛ قال أحمد: لا حاجة إلى حمله
 على المجاز فإن رؤية جهنم جائزة. وقدرة الله تعالى صالحة. وقد تظافرت الظواهر على وقوع هذا
 الجائز، وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكاً حسيّاً وعقليّاً. ألا ترى إلى قوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾
 وإلى محاجتها مع الجنة، وإلى قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ وإلى اشتكانها إلى ربها فأذن لها في نفسين،
 إلى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل إلى تأويلها، إذ لا محوج إليه. ولو فتح باب التأويل
 والمجاز في أحوال المعاد، لتطوح الذي يسلك ذلك إلى وادي الضلالة والتحيز إلى فرق الفلاسفة،
 فالحق أنا متعبدون بالظاهر ما لم يمنع مانع، والله أعلم.

لوازم، منها: أن يحمدا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم. وفيها التذكير

= أما حديث أبي الدرداء: فأخرجه أبو داود (٣١٧/٣) - كتاب العلم - باب الحث على طلب العلم - (٣٦٤١) وابن ماجه (٨١/١) - المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم - (٢٢٣) وأحمد في مسنده (١٩٦/٥)، والبيهقي في الشعب (٢٦٢/٢) (١٦٩٦) والدارمي (٩٨/١)، وابن حبان (٢٨٩/١ - ٢٩٠) (٨٨)، والخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» رقم (٥).
والبخاري في «شرح السنة» (٢٢٣/١) (١٢٩)، والبزار في مسنده (١٣٦) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٦٣/١ - ١٦٤) (١٧٢)، كلهم من طرق عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس، قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق...
وقال البخاري: حديث غريب لا يُعرف إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة.
وقال ابن عبد البر: داود بن جميل مجهول، ولا يعرف هو ولا أبوه، ولا تعلم أحداً روى عنه غير عاصم بن رجاء - بتصرف - وقال الدارقطني: «مجهول».
وقال الحافظ في التقریب: داود بن جميل ويقال اسمه الوليد، ضعيف قلت وقع تصحيف عند أحمد «عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن حميد به» وصوابه «داود بن جميل» كما أثبتناه.
وأخرجه أحمد أيضاً (١٩٦/٥)، والترمذي (٤٨/٥ - ٤٩) - كتاب العلم - (٤٣) باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة - (٢٦٨٢)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٦٠/١) حديث رقم (١٦٩).

من طرق عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال: قدم رجل من المدينة...
وقال الترمذي: ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء، وليس هو عندي بمتصل... وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي - ﷺ - وهذا أصح... ورأى محمد بن إسماعيل هذا أصح. اهـ.

قلت: وللحديث متابعة عند أبي داود في سننه (٣١٧/٣) (٣٦٤٢) من طريق الوليد قال: لقيت شبيب بن شيبة فحدثني به عن عثمان بن أبي سودة عن أبي الدرداء - يعني عن النبي - ﷺ - بمعناه وهذا إسناد حسن يتقوى الحديث به.

وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادي في تاريخه (٣٩٨/١) من طريق محمد بن إبراهيم أبو حمزة المروري قال: نبأنا علي بن الحسن بن شقيق قال: أنبأنا ابن المبارك قال أنبأ يونس بن يزيد عن عطاء الخراساني قال: قال أبو الدرداء سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من سلك...» قلت: وهذا إسناد رجال ثقات غير أن عطاء بن أبي مسلم الخراساني لم يسمع من أبي الدرداء وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٩/٣) للطبراني في معجمه الكبير من حديث مسلم، عن شعيب بن رزيق سمعت عثمان بن رزيق: سمعت عثمان بن أبي سودة قال: قدم رجل... فذكر الحديث وفيه «العلماء ورثة الأنبياء» وقال الزيلعي: وهذه الرواية أشبه من رواية أبي داود، وإسناده جيد، وشعيب بن رزيق، قال فيه دحيم: لا بأس به، وقال الدارقطني ثقة، وللحديث طريق سالمة من الضعف والاضطراب رواه الطبراني، في معجمه الكبير فذكره. اهـ.

وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٧٠٣/٢٨٦) وقال: صححه الحاكم وابن حبان وغيرهما وحسنه حمزة الكتاني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سننه، لكن له شواهد يتقوى بها.
قلت فمن شواهد.

بالتواضع، وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم. وما أحسن قول عمر: كل الناس أفضه من عمر (١٠٩٠).

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْدَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾

ورث منه النبوة والملك دون سائر / بنيه - وكانوا تسعة عشر - وكان داود أكثر تعبدًا، وسليمان أفضى وأشكر لنعمة الله ﴿وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ﴾ تشهيراً لنعمة الله، وتنويهاً بها، واعترافاً بمكانها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير، وغير ذلك مما أوتيته من عظام الأمور. والمنطق: كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف،

= حديث عبد الله بن مسعود.

أخرجه أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في تاريخ جرجان (ص ٣٣٥ - ٣٣٦) ثنا يحيى بن زكريا بن أحمد المصري، ثنا زفر بن الهديل، ثنا أبو حنيفة النعمان بن ثابت، عن حماد عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً «العلماء ورثة الأنبياء».

وحديث جابر بن عبد الله: أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٤/٤٣٨)، وابن الجوزي في العلل (١/٧٩)، كلاهما من طريق الضحاك بن حجوة قال نا الفريابي قال نا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله: قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء».

قال ابن الجوزي: حديث لا يصح. قال ابن عدي الضحاك بن حجوة منكر الحديث عن الثقات رواياته متاكير إما متناً وإما إسناداً، وقال ابن حبان، لا يجوز الاحتجاج به. أما حديث البراء بن عازب وعبد الله بن عمر فذكرهما الزيلعي في تخريج الكشاف وعزاهما لأبي نعيم في كتابه «فضل العالم العفيف على الجاهل الشريف».

والحديث ذكره البخاري في صحيحه (١/٢١٥) - كتاب العلم - باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿تَأْتِيهِمْ لَأَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم وإن العلماء هم ورثة الأنبياء...

وقال الحافظ ابن حجر: طرف من حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء وحسنه حمزة الكتاني وضعفه عندهم سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولم يفصح المصنف بكونه حديثاً فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلاً، وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان من حديث أبي الدرداء، من حديث واه «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً وفيه إن العلماء ورثة الأنبياء» وله طرق عند الطبراني. وفي الباب عن البراء وابن عمرو بن العاص أخرجهما أبو نعيم في كتاب «فضل العالم العفيف على الجاهل الشريف»، وعن ابن مسعود أخرجه ابن حمزة السهمي في تاريخ جرجان، وعن جابر أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة أحمد بن محمد الثلجي. وفي إسناده الضحاك بن حجوة. وهو متهم بوضع الحديث. انتهى.

١٠٩٠ - تقدم في سورة النساء.

المفيد وغير المفيد. وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه بإصلاح المنطق، وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم. وقالت العرب: نطقت الحمامة، وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته، والذي علمه سليمان من منطق الطير: هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه^(١) وأغراضه. ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ونبيه أعلم: قال يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء. وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا. وصاح طاووس، فقال يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد، فقال يقول: استغفروا الله يا مذنبين. وصاح طيطوى، فقال يقول: كل حي ميت، وكل جديد بال. وصاح خطاف فقال يقول: قدموا خيراً تجدوه. وصاحت رخمة، فقال تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه. وصاح قمري، فأخبر أنه يقول: سبحان ربي الأعلى. وقال: الحدأ يقول: كل شيء هالك إلا الله. والقطة تقول: من سكت سلم. والبيغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه: والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين. والنسر يقول: يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت. والعقاب يقول: في البعد من الناس أنس. والصفدع يقول: سبحان ربي القدوس. وأراد بقوله: ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ كثرة ما أوتي، كما تقول: فلان يقصده كل أحد، ويعلم كل شيء، تريد: كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه. ومثله قوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣]. ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْأَمِينُ ﴾ قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة، كما قال رسول الله - ﷺ -: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» (١٠٩١)، أي: أقول هذا القول شكراً ولا أقوله فخراً. فإن قلت: كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يريد نفسه وأباه. والثاني: أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع - وكان ملكاً مطاعاً - فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها، وليس التكبر من لوازم ذلك، وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه وإظهار آيينه^(٢) وسياسته مصالح، فيعود تكلف ذلك واجباً. وقد كان رسول الله - ﷺ - يفعل نحواً من ذلك إذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجع في عين عدو. ألا ترى كيف أمر العباس

١٠٩١ - تقدم.

قال الحافظ: تقدم في يوسف.

(١) قوله «هو ما يفهم بعضه من بعض معانيه» عبارة النسفي: والمنطق: كل ما بصوت من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد، وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض اهـ.

(ع)

(٢) قوله «إظهار آيينه» قيل: مراتبه وبهاؤه. وفي نسخه: أبهته، فليحرج. (ع)

ندأ، ثم قالوا: ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحداً دونك، فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك، أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار. قال الله تعالى: ﴿فَقَتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ يريد الكفرة وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ وقرأ أبو جعفر المدني: تتخذ، على البناء للمفعول. وهذا الفعل أعني «اتخذ» يتعدى إلى مفعول واحد، كقولك: اتخذ ولياً وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلاناً ولياً. قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَكْفَرُوا مِمَّنْ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْإِيمَانَ مِنْهُ يَخُوفُونَ﴾ [البقرة: 175] وقال: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ فالقراءة الأولى من المتعدي إلى واحد وهو ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ والأصل: أن تتخذ أولياء، فزيدت (من) لتأكيد معنى النفي، والثانية من المتعدي إلى مفعولين. فالأول ما بني له الفعل. والثاني: ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾. ومن للتبعيض، أي: لا تتخذ بعض أولياء. وتنكير ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والذکر: ذکر الله والإيمان به، أو القرآن والشرائع. والبور: الهلاك، يوصف به الواحد والجمع. ويجوز أن يكون جمع بائر، كعائذ وعود.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَطْلُبْ مِنْكُمْ نُدْقَهُ﴾

عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

هذه المفاجأة^(١) بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى: ﴿يَتَأْمَلُ الْكُتَيْبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، وقول القائل [من البسيط]:

قَالُوا: خُرَاسَانَ أَفْصَى مَا يُرَادُ بِنَا تُمْ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَ^(٢)

وقرى: يقولون، بالتاء والياء. فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم أنهم آلهة. ومعنى من قرأ بالياء: فقد كذبوكم بقولهم: ﴿سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُنَا أَن تَخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: فإن قلت: هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء؟ قلت إي والله، هي مع التاء كقوله: ﴿بَلْ ٢/٤٩ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ والجار والمجرور بدل من الضمير. كأنه قيل: فقد كذبوا

(١) قوله «هذه المفاجأة» أي: التي في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾. (ع)

(٢) يقول: قالوا: إن هذه البلدة أبعد ما يراد بنا وغاية السفر بنا، ثم يكون القفول أي الرجوع. ويجوز أنه عطف على خراسان. وقوله «فقد جئنا» مرتب على محذوف. أي: إن صدقوا في قولهم فقد جئنا خراسان، فلم لم نتخلص من السفر. ويجوز أنه عدل إلى الخطاب، أي فقولوا: لهم اقطعوا السفر بنا وارجعوا. فقد جئنا الموعد، لكن ليس ذلك التفاتاً. البيت للعباس بن الأحنف، ينظر ديوانه (٣١٢)، الدر المصون (٥/٢٤٨).

بما تقولون: وهي مع الياء كقولك: كتبت بالقلم. وقرئ: يستطيعون، بالتاء والياء أيضاً. يعني: فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم. وقيل: الصرف: التوبة وقيل: الحيلة، من قولهم: إنه ليتصرف، أي يحتال أو فما يستطيع ألهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب. أو أن يحتالوا لكم. الخطاب على العموم للمكلفين. والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم، والكافر ظالم؛ لقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، والفاسق ظالم. لقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. وقرئ: يذقه، بالياء. وفيه ضمير الله. أو ضمير مصدر يظلم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ
وَحَمَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢١)

الجملة بعد «إلا» صفة لموصوف محذوف. والمعنى: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين. وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور. أعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل: ﴿وَمَا يَمُنُّ إِلَّا لِمُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] على معنى: وما منا أحد. وقرئ ويمشون. على البناء للمفعول، أي: تمشيهم حوائجهم أو الناس. ولو قرئ: يمشون، لكان أوجه لولا الرواية. وقيل: هو احتجاج على من قال: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾. ﴿فِتْنَةً﴾ أي محنة وابتلاء. وهذا تصبير لرسول الله - ﷺ - على ما قالوه واستبدعوه، من أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل، يقول: وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض. والمعنى: أنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم، وبمناصبتهم لهم العداوة، وأقاولهم الخارجة عن حد الإصاف، وأنواع أذاهم، وطلب منهم الصبر الجميل، ونحوه ﴿وَلَقَدْ نَمَرْنَا مِنَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ نَصَرُوا وَتَتَفَوْا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْرِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وموقع ﴿أَنْتَصِرُونَ﴾ بعد ذكر الفتنة موقع ﴿إِيَّاكُمْ﴾ بعد الابتلاء في قوله: ﴿يَلْبَسُكُمْ إِيَّاكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]. ﴿أَنْتَصِرُونَ﴾ عالماً بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيقر صدرك، ولا يستخفك أقاويلهم فإن في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين. وقيل: هو تسلية له عما عيره به من الفقر، حين قالوا: أو يلقى إليه كنز، أو تكون له جنة، وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء؛ لينظر: هل يصبرون؟ وأنها حكمته ومشيتته: يغني من يشاء ويفقر من يشاء. وقيل: جعلناك فتنة لهم؛ لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا، أو ممزوجة بالدنيا؛ فإنما بعثناك فقيراً ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي. وقيل: كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل ومن في طبقتهم

يقولون: إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا إدلالاً بالسابقة، هو اقتتان بعضهم ببعض.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ ﴿٢١﴾

أي لا ياملون لقاءنا بالخير لأنهم كفره. أو لا يخافون لقاءنا بالشر. والرجاء في لغة تهامة الخوف، وبه فسر قوله تعالى: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقياً. اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتحيرهم بأن محمداً صادق حتى يصدقوه. أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه. ولا يخلو: إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء، وأن الله لا يصح أن يرى^(١). وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون. وإما ألا يكونوا عالمين بذلك وإنما أرادوا التعتن باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم، كما فعل قوم موسى حين قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فإن قلت: ما معنى ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾؟ قلت: معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه. كما قال: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْفِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]. ﴿وَعَتَوْا﴾ وتجاوزوا الحد في الظلم. يقال: عتا علينا فلان. وقد وصف العتو بالكبير، فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يخسروا على هذا القول العظيم، إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو، واللام جواب قسم محذوف. وهذه الجملة في حسن استثنائها غاية، وفي أسلوبها قول القائل [من الطويل]:

وَجَارَةٌ جَسَّاسٍ أَبَانًا بِنَابِهَا كُليْبًا عَلَّتْ نَابَ كُليْبٍ بَوَاؤُهَا^(٢)

- (١) قوله «لا يصح أن يرى» هذا مذهب المعتزلة، وعند أهل السنة: يصح أن يرى. (ع)
 (٢) لرجل من بني بكر: قبيلة جساس، يفتخر على بني تغلب: قبيلة كليب بن ربيعة أخي مهلهل وخال امرئ القيس. وجارة جساس: هي خالته البسوس. أبانا - بالهمز -: أي قابلنا مساوينا كليباً، بنابها: أي بناقتها المسنة، فقتلناه فيها، ثم قال تعجباً واستعظماً: غلت، أي: ارتفعت وعظمت ناقة مسنة مهزولة بواؤها كليب المشهور. وبواء كسواء وزناً ومعنى، أي: كفؤها ومساوئها كليب بن ربيعة الشجاع المعروف. ومن خبرها أن البسوس أتت مع رجل من جرم تزور أختها هيلة أم جساس بن مرة فعخرجت ناقة الجرمي ترعى مع إبل بني بكر في أرض تغلب لما كان بينهما من المصاهرة والمودة، فأنكر كليب الناقة وظنها أجنبية، فرماها بسهم فأصاب ضرعها فرجعت تشخب دماً، وبركت بفناء جساس، فرأته البسوس فصاحت: واذا، واغريته! فقال جساس: اهذي: والله لأعقرن فيها فحلاً هو أعز على أهله منها، فظن كليب أنه يعني فحلاً عنده اسمه عليان، فقال: دون عليان خرط القتاد، لكن جساساً كان يعني نفس كليب، فترقبه يوماً ورماه برمح فصرعه، =

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب. ألا ترى أن المعنى: ما أشد استكبارهم، وما أكبر عتوهم، وما أغلى نابا بواؤها كليب.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٢٢)

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ منصوب بأحد شيئين: إما بما دل عليه ﴿لَا بُشْرَى﴾ أي: يوم يرون الملائكة يمتنعون البشري أو يعدمونها. ويومئذ للتكرير^(١). وإما بإضمار «اذكر» أي: اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾. وقوله: «للمجرمين» إما ظاهر في موضع ٢/ ٤٩ ب ضمير. وإما لأنه عام، فقد تناولهم بعمومه ﴿حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو: معاذ الله^(٢)، وقعدك الله، وعمرك الله. وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو متور أو هجوم نازلة، أو نحو ذلك: يضعونها موضع الاستعاذة. قال سيبويه: ويقول الرجل للرجل: أتفعل كذا وكذا، فيقول: حجراً، وهي من حجره إذا منعه؛ لأن المستعذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى: أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً. ومجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن، تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد، كما كان قعدك وعمرك

= وتبعه عمرو بن الحارث، فلما رآه كليب قال له: اسقني يا عمرو. فقال: تركت الماء وراءك وأجهز عليه، فضرب به المثل المشهور [من البسيط]:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

واشتعلت الحرب بين بكر وتغلب نحو ثلاثين سنة، وضرب المثل السائر: سد كليب في الناقة. (١) قال السمين الحلبي: ورده الشيخ سواء أريد بالتكرير التوكيد اللفظي أم أريد به البدل قال: لأن يَوْمَ منصوب بما تقدم ذكره من اذْكَرْ أو مِنْ يَغْدُمُونَ الْبُشْرَى وما بعد لا العاملة في الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقدير ما ذكرناه يكون العامل فيه ما قبل لا. قُلْتُ: وما رده ليس بظاهر وذلك لأن الجملة المنفية معمولة للقول المضمرة الواقع حالاً من الملائكة والملائكة معمولة لِيَرَوْنَ وَيَرَوْنَ معمولة لِيَوْمَ خُصَّصاً بالإضافة فلا وَمَا في خبرها من تَيْمَّةِ الظرف الأول من حيث إنها معمولة لِيَغْضُ ما في حَبْرِهِ فليست بأجنبية ولا مانعة من أَنْ يعمل ما قبلها فيما بعدها، والعَجَبُ له كيف تَخِيلَ هَذَا وغفل عما قلته فإنه واضح مع التأمل؟! و«لِلْمُجْرِمِينَ» من وَضَعَ الظاهر موضع المضمرة شهادة عليهم بذلك والضمير في «يَقُولُونَ» يجوز عَوْدُهُ للكفار ولِلْمَلَائِكَةِ. و«حَجْرًا» من المصادر الْمُلتَزِمِ إضماراً ناصبها ولا يَتَصَرَّفُ فيه قال سيبويه. ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا فيقول «حَجْرًا». وهي من حَجْرَهُ إذا مَنَعَهُ لأن المستعذ طالب من الله أن يمنع المكروه لا يلحقه وكان المعنى: أسأل الله أن يمنعه منعاً ويحجُرُهُ حَجْرًا. والعامية على كسر الحاء والضحاك والحسن وأبو رجاء على ضمها وهو لغة فيه. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «وقعدك الله» في الصحاح: وقولهم قعيدك لا آتيك، وقعيدك الله لا آتيك، وقعدك الله لا آتيك: يعين للعرب، وهي مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمرة. والمعنى: بصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى، كما يقال: نشدتك الله. (ع)

كذلك؛ وأنشدت لبعض الرّجاز [من الرّجز]:

قَالَتْ وَفِيهَا حَايِدَةٌ وَذُعْرُ: عُوذُ بِرَبِّي مِنْكُمْ وَجِجْرُ^(١)

فإن قلت: فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر، ما معنى وصفه بمحجور؟ قلت: جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر، كما قالوا. ذيل ذائل، والذيل: الهوان. وموت مانت. والمعنى في الآية: أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه، وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم، لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون، وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العذرّ الموتور^(٢) وشدة النازلة. وقيل: هو من قول الملائكة ومعناه: حراماً محرماً عليكم الغفران والجنة والبشرى، أي: جعل الله ذلك حراماً عليكم.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم، ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم، وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف، ومن على أسير، وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقدم على أشيائهم، وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق، ولم يترك لها أثراً ولا عشيراً^(٣) والهباء: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار. وفي أمثالهم: أقل من الهباء ﴿مَنْثُورًا﴾ صفة للهباء، شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده، وأنه لا يتفجع به، ثم بالمنثور منه؛ لأنك تراه منتظماً مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيت قد تناثر وذهب كل مذهب. ونحوه قوله: ﴿كَمَصْفٍ مَّاكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفاً

(١) الحيدة: الصدود، وذعره ذعراً: فزعه. والذعر - بالضم - اسم مصدر، وكذلك العوذ بمعنى التعوذ والالتجاء، وكذلك الحجر بمعنى الامتناع والتحصن، والمبتدأ محذوف. أي: قالت أمري تعوذ منكم وتحصن بربي، والحال أنها صادة فزعة، وهذا يقال على لسانهم عند لقاء المكروه.

(٢) قوله «الموتور» في الصحاح: الذي قتل له قتيلاً فلم يدرك بدمه. (ع)

(٣) قوله «لم يترك لها أثراً ولا عشيراً» في الصحاح «العشيرة» بتسكين الثاء: الغبار. (ع)

قال السمين الحلبي: وهذا الذي أنشده الزمخشري يقتضي تصرف ججراً وقد تقدم نص سيويه على أنه يلتزم النصب وحكى أبو البقاء فيه لغة ثالثة وهي الفتح قال: وَقَدْ قُرِئَ بِهَا فَعَلَىٰ هَذَا كَمَلٍ فِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ مَقْرُوءَةٌ بِهِنَّ وَ«مَخْجُورًا» صفة مؤكدة للمعنى كقولهم: «ذَيْلٌ ذَائِلٌ» و«مَوْتٌ مَائِتٌ» والججْرُ: العفل لأنه يمنع صاحبه. انتهى. الدر المصون.

ينظر تهذيب اللغة (١٤٧/٣)، لسان العرب (عوذ)، (حجر)، تاج العروس (عوذ)، (حجر)، المخصص (٢٩٩/١٢)، ديوان الأدب (١٥٢/١)، البحر المحيط (٤٩٢/٦)، الدر المصون (٥/٢٥٠).

بالأكال^(١) ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثراً. أو مفعول ثالث لجعلناه أي فجعلناه جامعاً لحقارة الهباء والتناثر، كقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، أي جامعين للمسح والخسء. ولام الهباء واو، بدليل الهبوة.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤)

المستقرّ: المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرّين يتجالسون ويتحدثون. والمقيل: المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهم وملاستهنّ، كما أنّ المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب. وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم، فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. وفي معناه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ (٥٥) ﴿مُمْسِكِينَ بِأُزُوجِهِمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْضِ مَنكُوبُونَ﴾ (٥٦) [يس: ٥٥-٥٦]، قيل في تفسير الشغل: افتضاض الأبكار، ولا نوم في الجنة. وإنما سمي مكان دعوتهم واسترواحهم إلى الحور مقيلاً على طريق التشبيه. وفي لفظ الأحسن: رمز إلى ما يتزين به مقيلهم. من حسن الوجوه وملاحة الصور، إلى غير ذلك من التحاسين والزين.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَيُنزِلُ الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا﴾ (٢٥)

وقرى ﴿تَشْقُقُ﴾ والأصل: تشقق، فحذف بعضهم التاء، وغيره أدغمها. ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها، جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء، كما تقول: شق السنام بالشفرة وانشق بها. ونظيره قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]. فإن قلت: أي فرق بين قولك: انشقت الأرض بالنبات، وانشقت عن النبات؟ قلت: معنى انشقت به: أنّ الله شققها بطلوعه فانشقت به. ومعنى انشقت عنه: أنّ التربة ارتفعت عنه عند طلوعه. والمعنى: أنّ السماء تنفتح بغمام يخرج منها، وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد. وروي تشقق سماء سماء، وتنزل الملائكة إلى الأرض. وقيل: هو غمام أبيض رقيق، مثل الضباب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في نبيهم. وفي معناه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقرئ: وتنزل الملائكة، وتنزل الملائكة، ونزلت الملائكة، وأنزل الملائكة، ونزل الملائكة، ونزل الملائكة: على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل: قراءة أهل مكة.

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٢٦)

(١) قوله «بالأكال» هو بالضم: الحكمة. (ع)

الحق: الثابت؛ لأن كل ملك يزول يومئذ ويبطل، ولا يبقى إلا ملكه.

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ بَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ (٧٧) ﴿يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَرَأَيْتَنِي أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ (٧٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٧٩)

عض اليدين والأنامل، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان والأرم^(١)، وقرعها: كنايةات عن الغيظ والحسرة؛ لأنها من روادفها، فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه. وقيل: نزلت في عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس، وكان يكثر مجالسة رسول الله - ﷺ -. وقيل: اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله - ﷺ -. فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين، ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه ٥٠/٢ وأقال: صبأت يا عقبة؟ قال: لا، ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي، فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي، فقال: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه، فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك. فقال النبي - ﷺ -: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فقتل يوم بدر: أمر علياً - رضي الله عنه - بقتله. وقيل: قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الأنصاري وقال: يا محمد، إلى من السببية^(٢) قال: إلى النار. وطعن رسول الله - ﷺ - أبيا بأحد، فرجع إلى مكة فمات (١٠٦٢). واللام في ﴿الظَّالِمُ﴾ يجوز

١٠٦٢ - رواه أبو نعيم في الدلائل (ص ٣٥٤) قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد المقرئ ثنا أحمد بن فرج، قال: ثنا أبو عمرو الدوري، قال: ثنا محمد بن مروان عن محمد بن المسيب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان عقبة بن أبي معيط لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا عليه الناس جيرانه وأهل مكة كلهم وكان يكثر مجالسة النبي - ﷺ - ويعجبه حديثه ويغلب عليه الشقاء فقدم ذات يوم من سفره فصنع طعاماً ثم دعا رسول الله - ﷺ - إلى طعامه فقال: ما أنا بالذي أكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فقال: اطعم يا ابن أخي، قال: ما أنا بالذي أفعل حتى تقول، فتشهد بذلك، فطعم من طعامه فبلغ ذلك أبي بن خلف فأناه، فقال: صبوت يا عقبة =

- (١) قوله «وحرق الأسنان والأرم» في الصحاح: حرقت الشيء حرقاً: بروتته وحككت بعضه ببعض. ومنه قولهم: حرقت نابه، أي سحقته حتى سمع له صريف. وفلان يحرق عليك الأرم غيظاً. وفيه أيضاً: أرم على الشيء أي: عض عليه وأرمه أيضاً، أي: أكله، والأرم: الأضراس، كأنه جمع أرم. يقال: فلان يحرق عليك الأرم، إذا تغيظ فحك أضراسه بعضها ببعض. (ع)
- (٢) قوله «وقال يا محمد إلى من السببية» في الصحاح «السببية»: المرأة تسمى. (ع)

أن تكون للعهد، يراد به عقبة خاصة. ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره. تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقاً واحداً وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى. أو أراد أنني كنت ضالاً لم يكن لي سبيل قط، فليتي حصلت بنفسني في صحبة الرسول سبيلاً. وقرئ: يا ويلتي بالياء، وهو الأصل؛ لأن الرجل ينادي ويلته وهي هلكته، يقول لها: تعالي فهذا أوانك. وإنما قلبت الياء ألفاً كما في: صحاري، ومداري. فلان: كناية عن الأعلام، كما أن الهن كناية عن الأجناس فإن أريد بالظالم عقبة، فالمعنى: ليتني لم أتخذ أياً خليلاً، فكنت عن اسمه. وإن أريد به الجنس، فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة، فجعله كناية عنه ﴿عَنِ الذَّكَرِ﴾ عن ذكر الله، أو القرآن، أو موعظة الرسول. ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق، وعزومه على الإسلام. والشيطان: إشارة إلى خليله، سماه شيطاناً لأنه أضله كما يضل الشيطان، ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة. أو أراد إبليس، وأنه هو الذي حملة على مخالفة المضل ومخالفة الرسول، ثم خذله. أو أراد الجنس، وكل من تشبطن من الجن والإنس. ويحتمل أن يكون ﴿وَكَاكَ الشَّيْطَانُ﴾ حكاية كلام الظالم، وأن يكون كلام الله. اتخذت: يقرأ على الإدغام والإظهار، والإدغام أكثر.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠)

وكان خليله، فقال: لا والله، ما صبوت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يطعم فشهدت له مطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك أبداً حتى تأتيه فتبزيق في وجهه وتطأ على عنقه، قال ففعل به ذلك، وأخذ رحم دابة فألقاه بين كتفيه فقال له رسول الله - ﷺ -: «لا ألفاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبراً ولم يقتل من الأسارى غيره قتله ثابت بن الأفلح وذكره السيوطي في الدر (١٢٥/٥).

ورواه ابن جرير في التفسير (٣٨٥/٩) رقم (٢٦٣٥١) قال: حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: قال عقبة بن أبي معيط... فذكره مختصراً.

ورواه عبد الرزاق في التفسير (٦٨/٢) من طريق معمر عن عثمان الجزري عن مقسم مولى ابن عباس عن ابن عباس، فذكره قريباً من حديث أبي نعيم. وزاد فيه قصة قتل أبي بن خلف يوم أحد. قال الحافظ: أخرجه أبو نعيم في الدلائل من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره مطولاً لكن إلى قوله: «فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبراً. ولم يقتل من الأسارى يوم بدر غيره. قتله ثابت بن أبي الأفلح»، وروى الطبري من طريق مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ بَعْثُ الظَّالِمِ عَلَىٰ بَدْيِهِ﴾ قال: دعا عقبة بن أبي معيط النبي - ﷺ - إلى طعام صنعته، إلى قوله: فشهدت له، والشهادة ليست في نفسي ومن طريق مقسم نحوه، مختصراً قال فقتل عقبة يوم بدر صبراً، وأما أبي بن خلف فقتله النبي - ﷺ - بيده يوم أحد في القتال وهما اللذان أنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَيَوْمَ بَعْثُ الظَّالِمِ عَلَىٰ بَدْيِهِ﴾ وذكره الثعلبي ثم الواحدي من غير سند. انتهى.

الرسول: محمد ﷺ وقومه قريش، حكى الله عنه شكواه قومه إليه. وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه: لأن الأنبياء كانوا إذا التجثوا إليه وشكوا إليه قومهم: حل بهم العذاب ولم ينظروا.

﴿وَكَذَلِكَ جَمَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَذَابًا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

ثم أقبل عليه مسلماً ومواسياً وواعداً النصره عليهم، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه، وكفاك بي هادياً إلى طريق قهرهم والانتصار منهم، وناصراً لك عليهم. مهجوراً: تركوه وصدوا عنه وعن الإيمان به. وعن النبي ﷺ: من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه، جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب العالمين، عبدك هذا اتخذني مهجوراً، اقض بيني وبينه (١٠٦٣)، وقيل: هو من هجر، إذا هذى، أي: جعلوه مهجوراً فيه، فحذف الجار وهو على وجهين، أحدهما: زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الأولين. والثاني: أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِمَا أَلْفَرَاوَانُ وَالْقَوَّاسِمُ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر، كالمجلود والمعقول. والمعنى: اتخذوه هجراً. والعدو: يجوز أن يكون واحداً وجمعاً. كقوله: ﴿فَأَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ [الشعراء: ٧٧]، وقيل المعنى: وقال الرسول يوم القيامة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٢٧﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَسْوِيرًا ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿نُزِّلَ﴾ ههنا بمعنى أنزل لا غير، كخبر بمعنى أخبر، وإلا كان متدفعاً، وهذا أيضاً من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيتهم عن اتباعه. قالوا: هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة، وماله أنزل على التفريق. والقائلون: قريش. وقيل: اليهود. وهذا فضول من القول وممارسة بما لا طائل تحته؛ لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفزقاً. وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾

١٠٦٣ - قال الزيلعي (٤٥٩/٢): «رواه الثعلبي: أخبرنا أبو الطيب الربيع بن محمد الحاتمي وأبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي، قالوا: أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عقبة السبائي ثنا أبو القاسم الخضر بن أبان القرشي ثنا أبو هذبة إبراهيم بن هذبة ثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من تعلم... إلى آخره» اهـ.
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من طريق أبي هذبة عن أنس وأبو هذبة كذاب. انتهى.

جواب لهم، أي: كذلك أنزل مفزقاً. والحكمة فيه: أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه؛ لأن المتلقن إنما يقوي قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء، وجزءاً عقب جزء. ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعث به وتعباً^(١) بحفظه، والرسول ﷺ فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام، حيث كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين، فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ، فأنزل عليه منجماً في عشرين سنة. وقيل: في ثلاث وعشرين. وأيضاً: فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين، ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفزقاً. فإن قلت: ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه، والذي تقدم هو إنزاله جملة واحدة، فكيف فسرت به كذلك أنزلناه مفزقاً؟ قلت: لأن قولهم: لولا أنزل عليه جملة: معناه: لم أنزل مفزقاً؟ والدليل على فساد هذا الاعتراض: أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه، وتحذوا بسورة واحدة من أصغر السور، فأبرزوا صحة عجزهم ٥٠/٢ ب وسجلوا به على أنفسهم حين لا ذوا بالمناسبة وفزعوا إلى المحاربة، ثم قالوا: هلا نزل جملة واحدة، كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملة ﴿وَرَتَّلْنَاهُ﴾ معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك، كأنه قال: كذلك فرقناه ورتلناه. ومعنى ترتيله: أن قدره آية بعد آية، ووقفه عقب وقفه. ويجوز أن يكون المعنى: وأمرنا بترتيل قراءته، وذلك قوله: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، أي اقرأه بترسل وثبت. ومنه حديث عائشة - رضي الله عنها - في صفة قراءته ﷺ «لا كسر دكم هذا، لو أراد السامع أن يعدّ حروفه يعدّها» (١٠٦٤)، وأصله: الترتيل في الأسنان: وهو تفليجها. يقال: ثغر رتل ومرتل، ويشبه بنور الأفحوان

١٠٦٤ - قال الزيلعي: «غريب بهذا اللفظ».

والحديث أخرجه مسلم (٢٩١/٨ - نووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الحديث (٢٤٩٣/١٦٠) حدثني حرمة بن يحيى التجيبي أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة قالت: ألا يعجبك أبو هريرة! جاء فجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي - ﷺ - بسمعي ذلك؛ وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه: إن رسول الله - ﷺ - لم يكن يسرد الحديث كسر دكم. وعلقه البخاري (٢٦١/٧) كتاب المناقب، باب صفة النبي - ﷺ - الحديث (٣٥٦٨) قال: وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب فذكره. ورواه موصولاً من طريق أخرى رقم (٣٥٦٧) ورواه أبو داود (٣٤٤/٢ - ٣٤٥) كتاب العلم، باب في سرد الحديث، الحديث (٣٦٥٤ - ٣٦٥٥) وفي (٦٧٦/٢) كتاب الأدب، باب الهدى في الكلام الحديث (٤٨٣٩)، والترمذي (٦٠٠/٥) كتاب المناقب، باب في كلام النبي - ﷺ - الحديث =

(١) قوله «لبعث به وتعباً بحفظه» في الصحاح: بعث الرجل - بالكسر - أي دهش: وفيه أيضاً: عيبت بأمر، إذا لم تهتد لوجهه. وأعبا عليه الأمر وتعباً وتعباً، بمعنى اهد فتدير (ع)

في تفلجيه. وقيل: هو أن نزله مع كونه متفرقاً على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة، ولم يفرقه في مدة متقاربة ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة - كأنه مثل البطلان - إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى، ومؤدى من سؤالهم. ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عيه الكلام، وضع موضع معناه فقالوا: تفسير هذا الكلام كيت وكيت، كما قيل: معناه كذا وكذا. أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون: هلا كانت هذه صفتك وحالك، نحو: أن يقرن بك ملك ينذر معك، أو يلقي إليك كنز، أو تكون لك جنة، أو ينزل عليك القرآن جملة، إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا أن تعطاه، وما هو أحسن تكشيفاً لما بعثت عليه ودلالة على صحته، يعني: أن تنزله مفرقاً وتحذيه بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها: أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه، كأنه قيل لهم: إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضلون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته. ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم. لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله. وفي طريقته قوله: ﴿هَلْ أُنْتِنَاكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَشِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] الآية. ويجوز أن يراد بالمكان: الشرف والمنزلة. وأن يراد الدار والمسكن، كقوله: ﴿أَيُّ الْقَرِيْقَتَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ لَدِيًّا﴾ [مریم: ٧٣]، ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي وعن النبي ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث: ثلث على الدواب وثلث على وجوههم، وثلث على أقدامهم ينسلون نسلًا (١٠٦٥).

 = (٣٦٣٩)، وأحمد (١١٨/٦ - ١٣٨ - ١٥٧ - ٢٥٧)، والحميدي (١٢٠/١٠) رقم (٢٤٧)، وأبو يعلى (٣٥٧/٧) رقم (٤٣٩٣)، رقم (٤٦٧٧) وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤٦٠/٢) للبيهقي في المدخل، وإسحاق بن راهويه في مسنده، وابن أبي شيبة في مسنده.
 قال الحافظ: أخرجه البخاري من رواية عروة. قال: «جلس أبو هريرة - رضي الله عنه - إلى حجرة عائشة - رضي الله عنها - فقال: إن النبي ﷺ - إنما كان يحدث الحديث لوعده العاد لأحصاءه» ولمسلم: «لم يكن يسرد الحديث كسرديكم» وزاد الترمذي والنسائي: «ولكن كان يتكلم بكلام فصل يحفظه من جلس إليه» وسيأتي في المزمّل. انتهى.
 ١٠٦٥ - أخرجه الترمذي (٣٠٥/٥) كتاب التفسير، الحديث (٣١٤٢) حدثنا عبد بن حميد حدثنا الحسن بن موسى وسليمان بن حرب قالوا: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ -: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاءً، وصنفاً ركبانياً، وصنفاً على وجوههم، قيل يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، إما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك»، وأحمد في المسند (٣٥٤/٢ - ٣٦٣)، والبيهقي في البعث والنشور ص (٧٣) =

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾

الوزارة: لا تنافي النبوة، فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً. والمعنى: فذهب إليهم فكذبوهم فدمرناهم، كقوله: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلِقْ﴾ [الشعراء: ٦٣]، أي: فاضرب فانفلق. أراد اختصار القصة فذكر حاشيتها أولها وآخرها؛ لأنها المقصود من القصة بطولها أعني: إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم. وعن علي - رضي الله عنه - فدمرتهم. وعنه: فدمرهم. وقرئ فدمرناهم، على التأكيد بالنون الثقيلة.

= رقم (١١١)، وأصل حديث أبي هريرة رواه البخاري (١٨٧/١٣) كتاب الرقاق، باب الحشر، الحديث (٦٥٢٢)، ومسلم (٢١١/٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر الحديث (٢٨٦١/٥٩) والنسائي (١١٥/٤) كتاب الجنائز، باب البعث وغيرهم كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا وتصيح معهم حيث أصبحوا، وتسمي معهم حيث أمسوا».

وروى النسائي (١١٦/٤) كتاب الجنائز، باب البعث من حديث أبي ذر قال: «إن الصادق المصدوق - عليه السلام - حدثني: أن الناس يحشرون ثلاثة أنواع: فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار، وفوج يمشون ويسمعون يلقى الله الآفة على الظهر فلا يبقى حتى إن الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها، وأحمد في المسند (١٦٤/٥ - ١٦٥)، والحاكم في المستدرک (٣٦٧/٢ - ٣٦٨)، وابن أبي شيبة (٨٦/٧) كتاب الزهد، باب ما ذكر عن النبي - عليه السلام - في الزهد الحديث (٣٤٣٩٦)، والبيهقي في البعث (ص ٧٢) رقم (١٠٩). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ.

وروى النسائي في الكبرى (٤٣٩/٦) كتاب التفسير، سورة يس الحديث (١١٤٣١) من حديث حكيم بن معاوية عن أبيه أنه جاء إلى النبي - عليه السلام - فقال: يا محمد، إني حلفت بعدد أصابعي ألا أتبعك ولا أتبع دينك... وفيه وأشار بيده إلى الشام فقال: ههنا إلى ههنا تحشرون ركبناً ومشاة وعلى وجوهكم يوم القيامة... الحديث.

ورواه الطبراني مختصراً (١٩/٩٩٩ - ١٠٠٢ - ١٠٣٤ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩) وهو عند غيرهما. قال الحافظ: أخرجه البيهقي من طريق مسدد عن بشر بن المفضل عن علي بن زيد عن أوس بن أبي أوس عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا، وأصله في الترمذي، والبخاري، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة من هذا الوجه لكن قال عن أوس بن خالد، وعند الحاكم من رواية أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر حدثني الصادق المصدوق: «أن الناس يحشرون ثلاثة أنواع: فوجاً طاعمين لابسين راكبين، وفوجاً يمشون ويسمعون، وفوجاً تسحبهم الملائكة على وجوههم إلى النار» وفي الترمذي، والنسائي من رواية معاوية بن جبله حدثنا بهز بن حكيم رفعه: «إنكم محشورون إلى الله ركبناً ورجالاً وتمرون على وجوهكم. انتهى».

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿٣٧﴾

كانهم كذبوا نوحاً ومن قبله من الرسل صريحاً. أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلاً كالبراهمة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصتهم للظالمين ﴿إِنَّمَا أَن يَعْنِي بِهِمْ قَوْمَ نُوحٍ، وَأَصْلُهُ: وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُ قَصِدُ تَظْلِيمِهِمْ فَأَظْهَرَ. وَإِنَّمَا أَن يَتَاوَلَهُمْ بِعُمُومِهِ.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّمِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا صَرَّيْنَا لَهُ الْأَمْثَلَّ وَكُلًّا

تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾

عطف عادا على (هم) في جعلناهم أو على الظالمين، لأن المعنى: ووعدنا الظالمين. وقرئ: وثمود، على تأويله القبلة. وأما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر. قيل في أصحاب الرس: كانوا قوماً من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش. فبعث الله إليهم شعيباً فدعاهم إلى الإسلام. فتمادوا في طغيانهم وفي إيذانه. فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية. عن أبي عبيدة: انهارت بهم فحسف بهم وبديارهم. وقيل: الرس قرية بفلج اليمامة، قتلوا نبيهم فهلكوا، وهم بقية ثمود قوم صالح. وقيل: هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان، كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير، سميت لطول عنقها، وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح، وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم، إن أعوزها الصيد، فدعا عليها حنظلة فأصابها الصاعقة، ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا: وقيل: هم أصحاب الأخدود. والرس: هو الأخدود. وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبياً النجار. وقيل ٥١/٢: كذبوا نبيهم ورسوه في بئر، أي: دسوه فيها ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي بين ذلك المذكور، وقد يذكر الذكور أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك، ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول: فذلك كيت وكيت على معنى: فذلك المحسوب أو المعدود ﴿صَرَّيْنَا لَهُ الْأَمْثَلَّ﴾ بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين، ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره. والتتبير: التفتيت والتكسير. ومنه: التبر، وهو كسار الذهب والفضة والزجاج. و﴿وَكُلًّا﴾ الأول منصوب بما دل عليه ﴿صَرَّيْنَا لَهُ الْأَمْثَلَّ﴾ وهو: أنذرنا. أو: حذرنا. والثاني بتبرنا، لأنه فارغ له.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الرِّقِيِّ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرًا السَّوَاءَ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا

يَرْجُونَ سُورًا ﴿٤٠﴾

أراد بالقرية «سدوم» من قرى قوم لوط، وكانت خمساً: أهلك الله تعالى أربعة بأهلها وبقيت واحدة. ومطر السوء: الحجارة، يعني أن قريشا مرّوا مراراً كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء ﴿أَفَكُم يَكُونُوا﴾ في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون ﴿بَلْ كَانُوا﴾ قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون ﴿شُورًا﴾ وعاقبة، فوضع الرجاء موضع التوقع، لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا، ومرّوا بها كما مرّت ركابهم. أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم. أو لا يخافون، على اللغة التهامية.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي بِعَبْتِ﴾ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١٦﴾ ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿١٧﴾

﴿إِنْ﴾ الأولى نافية، والثانية مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينهما. واتخذ هزواً: في معنى استهزاء به، والأصل: اتخذه موضع هزؤ، أو مهزوءاً به ﴿أَهْذًا﴾ محكي بعد القول المضمّر. وهذا استصغار، و﴿بِعَبْتِ﴾ الإخراج في معرض التسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء، ولو لم يستهزؤوا لقالوا: أهذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا. وقولهم: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ دليل على فرط مجاهدة رسول الله - ﷺ - في دعوتهم، وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، لولا فرط لجاجهم واستمسكهم بعبادة آلهتهم، و﴿لَوْلَا﴾ في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى - لا من حيث الصنعة - مجرى التقييد للحكم المطلق ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال، ولا بدّ للوعيد أن يلحقهم فلا يغترّهم التأخير. وقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب عن قولهم ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ لأنه نسبة لرسول الله - ﷺ - إلى الضلال من حيث لا يضلّ غيره إلا من هو ضال في نفسه. ويروي أنه من قول أبي جهل لعنه الله.

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٨﴾

من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلاً ولا يصغي إلى برهان. فهو عابد هواه وجاعله إلهه، فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبوداً إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بدّ أن تسلم شئت أو أبيت - ولا إكراه في الدين؟ وهذا كقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]، ﴿لَنْتَ

عَلَيْهِمْ يُصَيِّرُ ﴿٢٢﴾ [الغاشية: ٢٢] ويروى أَنَّ الرجل منهم كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر. ومنهم الحرث بن قيس السهمي.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

سَكِيلًا ﴿٤٤﴾

أم هذه منقطعة. معناه؛ بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضرار عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول، لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنًا ولا إلى تدبره عقلاً، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال، ثم أرجح ضلالة منها. فإن قلت لم أخرج هواه والأصل قولك: اتخذ الهوى إلهاً؟ قلت: ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للناية، كما تقول: علمت منطلقاً زيدا: لفضل عنايتك بالمنطلق^(١)، فإن قلت: ما معنى ذكر الأكثر؟ قلت: كان فيهم من لم يصدّه عن الإسلام إلا داء واحد: وهو حب الرياسة، وكفى به داء عضالاً. فإن قلت: كيف جعلوا أضل من الإنعام؟ قلت: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلقها وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وتهتدي لمراعيها ومشاربيها. وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد ٥١/٢ المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾

ثُمَّ قَبَضْتَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته، ومعنى مد الظل: أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي لاصقاً بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة، غير منبسط فلم ينتفع به أحد: سمي انبساط الظل وامتداده تحركاً منه وعدم ذلك سكوناً. ومعنى كون الشمس دليلاً: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على

(١) قال محمود: «إن قلت لم قدم إلهه وهو المفعول الثاني، وأجاب بأنه قدم عناية به كقولك ظننت منطلقاً زيدا إذا كانت عنايتك بالمنطلق» قال أحمد: وفيه نكتة حسنة وهي إفادة الحصر، فإن الكلام قبل دخول أرايت مبتدأ وخبر: المبتدأ هواه، والخبر إلهه. وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر، فكانه قال: أرايت من لم يتخذ معبوده إلا هواه، فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه، والله أعلم. قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وادعاء القلب يعني أن التقديم ليس بجيد. لأنه من ضرائر الأشعار. انتهى. الدر المصون.

أحوال الظل، من كونه ثابتاً في مكان زائلاً^(١) ومتسعاً ومتقلصاً، فينبون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك. وقبضه إليه: أنه ينسخه بضح الشمس^(٢) ﴿يَسِيرًا﴾ أي على مهل. وفي هذا القبض اليسير شيئاً بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر، ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً. فإن قلت: ثم في هذين الموضعين كيف موقعها؟ قلت: موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة: كان الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم منهما، تشبيهاً لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت. ووجه آخر: وهو أنه مدّ الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة، ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينا ما في أديمه جوب^(٣) لعدم النير، ولو شاء لجعله ساكناً مستقراً على تلك الحالة، ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل، أي: سلطها عليه، ونصبها دليلاً متبوعاً له كما يتبع الدليل في الطريق، هو يزيد بها وينقص، ويمتد ويتقلص، ثم نسخها بها فقبضه قبضاً سهلاً يسيراً غير عسير. ويحتمل أن يريد: قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تبقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه، وقوله: قبضناه إلينا: يدل عليه، وكذلك قوله يسيراً، كما قال ﴿ذَلِكَ حَسْرَةٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّتِلَ لِيَأْسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (١٧)

شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر. والسبات: الموت. والمسبوت: الميت؛ لأنه مقطوع الحياة، وهذا كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِأَلْتِل﴾ [الأنعام: ٦٠]. فإن قلت: هلا فسرتة بالراحة؟ قلت: النشور في مقابلته ياباه إباء العيوف الورد وهو مرتق^(٤). وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه؛ لأن الاحتجاب بستر الليل، كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية وديوية، والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة، أي عبرة فيها لمن اعتبر. وعن لقمان أنه قال لابنه: يا بني، كما تنام فتوقظ، كذلك تموت فتنشور.

(١) قوله «زائلاً» لعله: زائلاً عن آخر. (ع)

(٢) قوله «أنه ينسخه بضح الشمس» في الصحاح: ضحضح السراب وتضحضح، إذا تفرق. والضح: الشمس. وفي الحديث «لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل» فإنه مقعد الشيطان. (ع)

(٣) قوله «ظلها على الأرض فينا ما في أديمه جوب» في الصحاح «الفينان» الطويل، وفيه «الأدم» جمع الأديم، مثل: أفق وأفق، وربما سمي وجه الأرض أديماً. وفيه: جاب يجوب جوباً، إذا خرق وقطع، فتدبر. (ع)

(٤) قوله «ياباه إباء العيوف الورد وهو مرتق» في الصحاح «العيوف» من الإبل: الذي يشم الماء فيدعه وهو عطشان، وفيه: رفته ترينقاً: كدرته. (ع)

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾

قري: الريح. والرياح نشراً: إحياء. ونشراً: جمع نشور، وهي المحيية. ونشراً: تخفيف نشر، وبشراً تخفيف بشر: جمع بشور وبشري. و﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ استعارة مليحة، أي: قدام المطر ﴿طَهُورًا﴾ بليغاً في طهارته. وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره، فإن كان ما قاله شرحاً لبلاغته في الطهارة كان سديداً. ويعضده قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: ١١]، وإلا فليس «فعل» من التفعيل في شيء. والظهور على وجهين في العربية: صفة، واسم غير صفة؛ فالصفة قولك: ماء طهور، كقولك: طاهر، والاسم قولك لما يتطهر به: طهور، كالوضوء والوقود، لما يتوضأ به وتوقد به النار. وقولهم: تطهرت طهوراً حسناً، كقولك: وضوءاً حسناً، ذكره سيبويه. ومنه قوله ﷺ: «لا صلاة إلا بطهور» (١٠٦٦)، أي طهارة. فإن

١٠٦٦ - أخرجه مسلم (٢٠٤/١) كتاب الطهارة: باب وجوب الطهارة للصلاة حديث (٢٢٤/١)، والترمذي (٥/١) كتاب الطهارة: باب وجوب الطهارة للصلاة حديث (١) وابن ماجه (١٠٠/١) كتاب الطهارة: باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور حديث (٢٦٢) وأحمد (٢٠/٢ - ٣٩ - ٥١) وأبو داود الطيالسي (٤٩/١) - منحة) رقم (١٥٥) وابن أبي شيبة (٤/١ - ٥) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (٥٤) وأبو عوانة (٢٣٤/١) وأبو يعلى (٤٦٧/٩) رقم (٥٦١٤) وفي «المعجم» رقم (٢٩٦) وابن خزيمة (٨/١) رقم (٨) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٦٥) وابن المنذر في «الأوسط» (١٠٨/١) والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص ٢٩٦) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/٢٨٧ - ٢٨٦) والحاكم في «معرفه علوم الحديث» (ص ١٣٩) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/١٧٦) والبيهقي (٤٢/١) كتاب الطهارة: باب فرض الطهور للصلاة، كلهم من طريق سماك بن حرب عن مصعب بن سعد قال: دخل عبد الله بن عمر على ابن عامر يعوده وهو مريض فقال: ألا تدعو لي يا ابن عمر؟ قال: إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

قال الترمذي: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن اهـ.

وللحديث طريق آخر عن ابن عمر.

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢٤/١ - ٢٥) رقم (٣٧): سألت أبي عن حديث رواه عيسى بن جعفر عن مندل عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي عمر الزهري سمعت عبد الله بن عمر بن الخطاب يذكر عن النبي - ﷺ - أنه قال: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول» قال أبي: ليس ذا شيء. قلت: فتعرف أبا عمر الزهري قال: لا اهـ.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة وهم أسامة بن عمير وأنس بن مالك وأبو بكره والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وأبو سعيد المخدري وأبو هريرة وابن مسعود وابن عمر كلاهما موقوفاً والحسن وأبو قلابة كلاهما مرسلان.

١ - حديث أسامة بن عمير:

أخرجه أبو داود (٤٨/١ - ٤٩) كتاب الطهارة: باب فرض الوضوء حديث (٥٩) والنسائي (٨٨/١) =

قلت: ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور؟ قلت: تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على

== كتاب الطهارة: باب فرض الوضوء، وابن ماجه (١٠٠/١) كتاب الطهارة: باب لا يقبل الله صلاة
بغير طهور حديث (٢٧١) وابن أبي شيبة (٥/١) كتاب الطهارات: باب لا تقبل صلاة إلا بطهور
وأحمد (٧٤/٥) وأبو عوانة (٢٣٥/١) وأبو داود الطيالسي (٤٩/١ - منحة) رقم (١٥٣) وأبو عبيد
في «كتاب الطهور» (٥٦) والدارمي (١٧٥/١) كتاب الطهارة: باب لا تقبل الصلاة بغير طهور وابن
حبان (١٤٥ - موارد) والطبراني في «الصغير» (٣٩/١) وفي «الكبير» (١٩١/١) رقم (٥٠٥ - ٥٠٦)
وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٧٦/٧ - ١٧٧) والبيهقي (٤٢/١) كتاب الطهارة: باب فرض
الطهور للصلاة، والبخاري في «شرح السنة» (٢٥٧/١ - بتحقيقنا) كلهم من طريق قتادة عن أبي
المليح عن أبيه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من
غلول.

وهذا الحديث صحيح صححه ابن حبان. وقال البخاري: هذا حديث صحيح.

٢ - حديث أنس بن مالك:

أخرجه ابن ماجه (١٠٠/١) كتاب الطهارة: باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور حديث (٢٧٣) وأبو
عوانة في «مسنده» (٢٣٥/١) باب الدليل على إيجاب الوضوء لكل صلاة، وأبو يعلى (٢٤٥/٧)
رقم (٤٢٥٢) من طرق عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك عن
رسول الله - ﷺ - قال: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

قال البوصيري في «الزوائد» (١٢٠/١): هذا إسناد ضعيف لضعف التابعي وقد تفرد يزيد بالرواية
عنه واختلف عليه في اسمه فقال الليث: سعد بن سنان، وقال ابن إسحاق وابن لهيعة: سنان بن
سعد وقال أحمد بن حنبل: لم أكتب حديثه لاضطرابهم في اسمه.

٢ - حديث أبي بكر:

أخرجه ابن ماجه (١٠٠/١) كتاب الطهارة: باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور (٢٧٤) وابن عدي
في «الكامل» (٣٣٢/٦) كلاهما من طريق الخليل بن زكريا ثنا هشام بن حسان عن الحسن عن أبي
بكرة قال: قال رسول الله - ﷺ - : «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

وهذا إسناد ضعيف جدا.

الخليل بن زكريا: متروك بنظر التقريب (٢٢٨/١).

وقال البوصيري في «الزوائد» (١٢١/١): هذا إسناد ضعيف لضعف الخليل بن زكريا .اهـ.

قلت: وقد تويع الخليل على هذا الحديث تابعه منهال بن بحر أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/
٣٣١) من طريق منهال بن بحر عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبي بكر به.

ومنهال بن بحر قال أبو حاتم الرازي: ثقة، الجرح والتعديل (٣٥٧/٨)، وقال العقيلي (٢٣٨/٤):
في حديثه نظر، وقال ابن عدي (٣٣٢/٦): وليس للمنهال بن بحر كثير رواية.

٤ - حديث الزبير بن العوام:

أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٢٣٢/١) بلفظ: لا تقبل صلاة إلا بطهور
ولا صدقة من غلول.

قال الهيثمي في «المجمع» (٢٣٢/١): رواه الطبراني في الأوسط وفيه وهب بن حفص الحراني قبل
فيه كذاب .اهـ.

قال برهان الدين الحلبي في «الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث (ص ٤٥٣): وهب بن =

الظن، تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير. أو استعماله في البدن لأداء عبادة عند أبي

= حفص البجلي الحراني عن أبي قتادة الحراني كذبه الحافظ أبو عروبة وقال الدارقطني: كان يضع الحديث ونقل ابن الجوزي في «الموضوعات» عن أبي زرعة أنه كذاب يضع الحديث وذكر في مكان آخر ذلك عن أبي عروبة فلعل قوله ذلك عن أبي زرعة من غلط الناس.

٥ - حديث عبد الله بن مسعود:

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٦٠/١٠ - ١٦١) من طريق عباد بن أحمد العرزمي ثنا عمي عن أبيه عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي السفر عن الأسود عن عبد الله قال: سمعت النبي - ﷺ - يقول: لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول وأبدأ بمن تعول.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٣٢/١) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عباد بن أحمد العرزمي وهو متروك.

٦ - حديث عمران بن حصين:

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠٦/١٨ - ٢٠٧) رقم (٥٠٩) من طريق زيد بن الحباب ثنا شعبة عن قتادة عن أبي السوار العدوي عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

قال الهيثمي في «المجمع» (٢٣٣/١): ورجاله رجال الصحيح.

٧ - حديث أبي سعيد الخدري:

أخرجه البزار (١٣٢/١ - ١٣٣ - كشف) حدثنا محمد بن عبيد الله بن يزيد حدثني أبي ثنا سليمان بن أبي داود الجزري عن مكحول عن رجاء بن حيوة عن أبي سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - قال: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢٣٢/١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه عبيد الله بن يزيد القردواني لم يرو عنه غير ابنه محمد.

٨ - حديث أبي هريرة:

أخرجه أبو عوانة (٢٣٦/١) وابن خزيمة في صحيحه (٨/١) رقم (١٠) والبزار (١٣٣/١ - كشف) رقم (٢٥٢) من طريق كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد وقد رواه عن كثير غير سليمان. اهـ.

ولم يعلل ابن خزيمة فهو صحيح عنده.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٣٢/١) وقال: رواه البزار وفيه كثير بن زيد الأسلمي وثقه ابن حبان وابن معين في رواية وقال أبو زرعة: صدوق فيه لين وضعفه النسائي وقال محمد بن عبد الله بن عمار: ثقة. اهـ.

قلت: وقال أبو حاتم: صالح ليس بالقوي يكتب حديثه، وقال أحمد: ما أرى به بأساً، وقال ابن عدي: أرجو أن لا بأس به، وذكره ابن حبان في «الثقات» ينظر التهذيب (١٤/٨).

وقال الحافظ في «التقريب» (١٣٢/٢): صدوق يخطئ.

فمثله حسن الحديث كما هو مقرر في علم مصطلح الحديث. أما قول البزار المتقدم فمتعقب فقد جاء الحديث عن أبي هريرة من ثلاث طرق أخرى.

الطريق الأول:

حنيفة وعند مالك بن أنس - رضي الله عنهما - : ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور . فإن

= أخرج أبو يعلى (١٠٣/١١) رقم (٦٢٣٠) من طريق عباد بن كثير عن أبي أمية قال : حدث الحسن بن أبي الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : «لا يقبل الله صلاة إلا بطهور ولا صدقة من غلول» .

وهذا إسناد ضعيف فيه علل كثيرة .

أبو أمية هو عبد الكريم بن أبي المخارق قال الذهبي في «المنقي» ضعيف تركه بعضهم .
وعباد بن كثير ضعيف أيضاً ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة .

الطريق الثاني :

أخرج أبو عوانة (٢٣٦/١) وابن خزيمة (٨/١) رقم (٨) كلاهما من طريق عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة به مرفوعاً .
ورواية عكرمة عن يحيى مضطربة .

قال عبد الله بن أحمد عن أبيه عن عكرمة مضطرب الحديث عن يحيى بن أبي كثير وقال أيضاً :
مضطرب الحديث عن غير إياس بن سلمة وكان حديثه عن إياس صالحاً .

وقال أبو زرعة الدمشقي : سمعت أحمد يضعف رواية أيوب بن عتبة وعكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير وقال عكرمة أوثق الرجلين .

وقال ابن المديني : أحاديث عكرمة عن يحيى بن أبي كثير ليست بذاك مناكير كان يحيى بن سعيد يضعفها .

وقال البخاري : مضطرب في حديث يحيى بن أبي كثير .

وقال أبو داود : ثقة وفي حديثه عن يحيى بن أبي كثير اضطراب . ينظر التهذيب (٧/٢٦١ - ٢٦٢) .

الطريق الثالث :

أخرج أبو عوانة (٢٣٦/١) من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة به مرفوعاً .

٩ - موقوف ابن مسعود وابن عمر :

أخرج ابن أبي شيبة (٤/١ - ٥) كتاب الطهارات : باب من قال لا تقبل صلاة إلا بطهور .

١٠ - مرسل الحسن :

أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (٦٥ - بغية الباحث) عن داود بن المحبر ثنا حماد عن حميد وغيره عن الحسن عن النبي - ﷺ - قال : «لا يقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول» .

وهذا الحديث مع إرساله فيه داود بن المحبر .

قال ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٨٧) : وكان يضع الحديث على الثقات ويروي عن المجاهيل المقلوبات وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : هو كذاب .

وقال الحافظ في «التقريب» (١/٢٣٤) : متروك وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات .

والحديث ذكره الحافظ في «المطالب العالية» (١/٢١) رقم (٦٣) وعزاه للحارث .

١١ - مرسل أبي قلابة :

أخرجه الحارث في «مسنده» (٦٤ - بغية الباحث) عن داود بن المحبر ثنا حماد بن سلمة عن أيوب وحميد أو أحدهما عن أبي قلابة فذكره مرفوعاً . وفيه داود بن المحبر وقد تقدم شيء من ترجمته . =

قلت: فما تقول في قوله ﷺ حين سئل عن بثر بضاعة فقال: «الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه» (١٠٦٧)؟ قلت: قال الواقدي: كان بثر بضاعة طريقاً للماء إلى البساتين.

= وهذا الحديث قد عده الحافظ السيوطي متواتراً فذكره في «الأزهار المتناثرة» رقم (١٢) وعزاه لمسلم عن ابن عمر وأبي داود والنسائي عن أسامة بن عمير وابن ماجه عن أنس وأبي بكره والطبراني عن الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وأبي سعيد الخدري والبخاري عن أبي هريرة والخطيب في «المتفق والمفترق» عن الحسن بن علي والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» من مرسل الحسن وأبي قلابة وابن أبي شيبة في «المصنف» موقوفاً على ابن عمر وابن مسعود.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - «لا تقبل صلاة إلا بطهور» وأصله في مسلم والطبراني من طريق عيسى بن صبرة عن أبيه عن جده «لا صلاة إلا بوضوء» وفي الباب عن جماعة من الصحابة. قلت: استوفيت طرقه في أول شرحي على الترمذي ولم يذكر المخرج منها إلا شيئاً يسيراً. انتهى.

١٠٦٧ - أخرجه أبو داود (٥٥/١) كتاب الطهارة: باب ما جاء في بثر بضاعة، الحديث (٦٧)، والشافعي في المسند (٢١/١): كتاب الطهارة: باب في المياة، الحديث (٣٥)، وأبو داود الطيالسي (٢٩٢)، وأحمد (٣١/٣) في مسند أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، والترمذي (٩٥/١): كتاب الطهارة: باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء، الحديث (٦٦)، والنسائي (١٧٤/١): كتاب المياة: باب ذكر بثر بضاعة، وابن الجارود (ص ٢٧): باب في طهارة الماء، الحديث (٤٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١١/١) كتاب الطهارة، والدارقطني (٢٩/١ - ٣٠): كتاب الطهارة: باب الماء المتغير، الحديث (١٠)، والبيهقي (٢٥٧/١): كتاب الطهارة: باب الماء الكثير لا ينجس بنجاسة تحدث فيه ما لم يتغير، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن وقد جوده أبو أسامة، ولم يرو حديث أبي سعيد في بثر بضاعة، أحسن مما روى أبو أسامة). والحديث صححه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وابن حزم كما في «تلخيص الحبير» (١٣/١). وللهديث شواهد من حديث جابر وابن عباس وسهل بن سعد وعائشة وميمونة وثوبان وأبي أمامة. - حديث جابر:

أخرجه ابن ماجه (١٧٣/١) كتاب الطهارة: باب الحياض حديث (٥٢٠) من طريق شريك عن طريف بن شهاب قال: سمعت أبا نضرة يحدث عن جابر قال: انتهينا إلى غدير فإذا فيه جيفة حمار قال: فكففتنا عنه حتى انتهى إلينا رسول الله - ﷺ - فقال: «إن الماء لا ينجسه شيء». قال الحافظ البوصيري في «الزوائد» (٢٠٨/١): هذا إسناد فيه طريف بن شهاب وقد أجمعوا على ضعفه.

- حديث ابن عباس:

أخرجه أحمد (٢٣٥/١) والبخاري (١٣٢/١ - كشف) رقم (٢٥٠) كلاهما من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من أزواج النبي - ﷺ - اغتسلت من جنباة فتوضأ النبي - ﷺ - بفضلته فذكرت ذلك له فقال: «إن الماء لا ينجسه شيء».

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١٦/١): رجاله ثقات وأخرجه أصحاب السنن من هذا الطريق ولكن بلفظ آخر قريباً من هذا.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مِّمَّنَّا وَنُسْقِيَهُمْ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأْنَسَى كَثِيرًا﴾ ﴿٤٩﴾

وإنما قال ﴿مِمَّنَّا﴾ لأنَّ البلدة في معنى البلد في قوله: ﴿سَقَّتَهُ إِلَى بَلَدٍ مِّمَّنَّا﴾ [فاطر: ٩]، وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعول ومفعيل. وقرئ: نسقيه بالفتح. وسقى، وأسقى:

= - حديث سهل بن سعد:

أخرجه الدارقطني (٢٩/١) كتاب الطهارة: باب الماء المتغير حديث (٤) من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي - ﷺ - قال: «الماء لا ينجسه شيء».

- حديث عائشة:

أخرجه أبو يعلى (٢٠٣/٨) رقم (٤٧٦٥) والبخاري (١٣٢/١ - كشف) رقم (٢٤٩) من طريق شريك عن المقدم بن شريح عن أبيه عن عائشة عن النبي - ﷺ - قال: «الماء لا ينجسه شيء».

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١٧/١) وقال: رواه أبو يعلى والبخاري في الأوسط ورجاله ثقات. اهـ.

وذكره الحافظ في «المطالب العالية» (٦/١) وعزاه لأبي يعلى وقال: وإسناده حسن.

- حديث ميمونة:

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/٢٤) رقم (٣٤) من طريق شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس عن ميمونة أن رسول الله - ﷺ - قال: «الماء لا ينجسه شيء».

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١٧/١) وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

- حديث ثوبان:

أخرجه الدارقطني (٢٨/١) كتاب الطهارة: باب الماء المتغير حديث (١) من طريق رشدين بن سعد ثنا معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن ثوبان قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الماء طهور إلا ما غلب على ريحه أو على طعمه».

قال الدارقطني: لم يرفعه غير رشدين بن سعد عن معاوية بن صالح وليس بالقوي.

- حديث أبي أمامة:

أخرجه ابن ماجه (١٧٤/١) كتاب الطهارة: باب الحياض حديث (٥٢١) والدارقطني (٢٨/١) كتاب الطهارة: باب الماء المتغير حديث (٣) والبخاري (١٢٣/٨) رقم (٧٥٠٣) من طريق رشدين بن سعد عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن أبي أمامة عن النبي - ﷺ - قال:

«الماء لا ينجسه شيء إلا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه».

قال المناوي في «فيض القدير» (٣٨٣/٢): جزم بضعفه جمع منهم الحافظ العراقي ومغلطاي في شرح ابن ماجه فقال: ضعيف، لضعف رواه الذين منهم رشدين بن سعد الذي قال فيه أحمد: لا يبالي عمن روى، وأبو حاتم منكر الحديث وقال النسائي: متروك، ويحيى: واه. وأشار الشافعي

إلى ضعفه واستغنى عنه بالإجماع. اهـ.

قال الحافظ: لم أجده هكذا. بل هو ملفق من حديثين فالأول أخرجه أصحاب السنن من حديث رافع بن خديج قال يا رسول الله أتوضأ من بضاعة وهي بثر يلقي فيها الجيف ولحوم الكلاب والنتن

فقال: «الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غلب على لونه أو طعمه أو ريحه». وقد استوفيت طرقها في تخريج أحاديث الرافعي. انتهى.

لغتان. وقيل: أسقاه: جعل له سقياً. الأناسي: جمع إنسي أو إنسان. ونحوه ظرابي في ظربان، على قلب النون ياء، والأصل: أناسين وظرابين. وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل، كقولك: أناعم، في: أناعيم. فإن قلت: إنزال الماء موصوفاً بالطهارة وتعليقه بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك، كما تقول: حملني الأمير على فرس جواد لأصيد ٥٢/٢ عليه الوحش. قلت: لما كان سقى الأناسي من جملة ما أنزل له الماء، وصفه بالطهور إكراماً لهم، وتنميماً للمنة عليهم، وبياناً أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم، وأن يربثوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم. فإن قلت: لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب؟ قلت: لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب، بخلاف الأنعام؛ ولأنها قنية الأناسي، وعامة منافعهم متعلقة بها، فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم. فإن قلت: فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة؟ قلت: معنى ذلك أن عليّة الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء، فبهم غنية عن سقي السماء، وأعقابهم - وهم كثير منهم - لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه، وكذلك قوله: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء. فإن قلت: لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي؟ قلت: لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقياً أرضهم ومواشيهم، لم يعدوا سقياهم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

يريد: ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم السلام - وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر - ليفكروا ويعتبروا، ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا ﴿فَأَبَىٰ﴾ أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها. وقيل: صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغيرة، وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل، وجود ورذاذ، وديمة ورهام^(١): فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا، ولا يذكروا صنع الله ورحمته. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: ما من عام أقل مطراً من عام، ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلا

(١) قوله «ورذاذ وديمة ورهام» الرذاذ: مطر ضعيف. والرهام: جمع رهمة وهي المطرة الضعيفة الدائمة، كذا في الصحاح. (ع)

هذه الآية (١٠٦٨)، وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام، لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد. ومنتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي، كأنه قال: لنحيي به بعض البلاد الميتة، ونسقيه بعض الأنعام والأناسي، وذلك البعض كثير. فإن قلت: هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء؟ قلت: إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله: فهو كافر. وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها: لم يكفر.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

يقول لرسوله ﷺ ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى. و﴿لَبَعَثْنَا﴾ على كُلِّ قَرْيَةٍ نبياً ينذرهما. وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمتناك به، وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل، فقابل ذلك بالتشديد والتصبر ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يريدونك عليه، وإنما أراد بهذا تهيبه وتهيج المؤمنين وتحريكهم. والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه: ﴿فَلَا تُطِيعُ﴾ والمراد: أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك، فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم، وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام. ويجوز أن يرجع الضمير في ﴿بِهِ﴾ إلى ما دل عليه: ﴿وَلَوْ

١٠٦٨ - رواه الحاكم في المستدرک (٤٠٣/٢) في التفسير، قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ثنا إبراهيم أنبا يزيد بن هارون أنبا سليمان التيمي عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «ما من عام أمطر من عام، ولكن الله يصرفه حيث يشاء، ثم قرأ ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ الآية». وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

ورواه ابن جریر (٣٩٧/٩) رقم (٢٦٤١٣ - ٢٦٤١٤)، ورواه العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/٢٢٨) في ترجمة علي بن حميد السلولي رقم (١٢٢٩)، من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال النبي - ﷺ -: «ما أحد بأكسب من أحد، ولا عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه حيث يحب، وإن الله يعطي المال من يحب، ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فإذا أحب عبداً أعطاه الإيمان».

وعزه الزيلعي في تخریج الكشاف (٤٦٤/٢) لابن مردويه في تفسيره عن ابن مسعود من وجه آخر. قال الحافظ: أخرجه الحاكم والطبري من رواية الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: ما من عام أمطر من عام، ولكن الله يصرفه. وفي الباب عن ابن مسعود، أخرجه العقيلي من رواية علي بن حميد عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عنه، وقال: لا يتابع علي رفعه، ثم أخرجه موقوفاً من رواية عمر بن مرزوق عن شعبة، وقال: هذا أولى، وأورده ابن مردويه من وجه آخر عن ابن مسعود مرفوعاً. انتهى.

يَسْتَأْذِنُ لِنَعْتَانِي فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ من كونه نذير كافة القرى، لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته، فاجتمعت على رسول الله - ﷺ - تلك المجاهدات كلها، فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم، فقال له ﴿وَجَاهِدْهُمْ﴾ بسبب كونك نذير كافة القرى ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ جامعاً لكل مجاهدة.

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٢﴾ ﴾

سمى المائين الكثيرين الواسعين: بحرين، والفرات: البلبع العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة. والأجاج: نقيضه. ومرجها: خلاهما متجاورين متلاصقين، وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج. وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم: وبحران: أحدهما مع الآخر ممزوج، وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج^(١) ﴿بَرْزَخًا﴾ حائلاً من قدرته، كقوله تعالى: ﴿بَحْرٍ عَدْبٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢٢]، يريد بغير عمد مرثية، وهو قدرته. وقرئ: ملح، على فعل، وقيل: كأنه حذف من مالح تخفيفاً، كما قال: وصلينا برداً، يريد: بارداً؛ فإن قلت: ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ما معناه؟ قلت: هي الكلمة التي يقولها المتعوذ؛ وقد فسرناها، وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز، كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له: حجراً محجوراً، كما قال ﴿لَا يَتَّبِعَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]، أي لا يبغى أحدهما على صاحبه بالممازجة، فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا: جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه، فهو ٥٢/٢ ب يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهداها على البلاغة.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴾

أراد: قسم البشر قسمين ذوي نسب، أي: ذكوراً ينسب إليهم، يقال: فلان بن فلان وفلانة بنت فلان، وذوات صهر: أي إنثاء يصاهر بهن، ونحوه قوله تعالى: ﴿جَعَلَ بَيْنَ الْوَجِينِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: ٣٩]. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. حيث خلق من النطفة الواحدة بشراً نوعين: ذكراً وأنثى.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾

الظهير والمظاهر، كالعوين والمعاون. و«فعليل» بمعنى مفاعل غير عزيز. والمعنى: أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك. روي أنها نزلت في أبي جهل، ويجوز أن

(١) قوله «ممزوج» لعله: غير ممزوج، فليحرج. (ع)

يريد بالظهير: الجماعة، كقوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤]، كما جاء: الصديق والخليط، يريد بالكافر: الجنس، وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله. وقيل: معناه: وكان الذي يفعل هذا الفعل - وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر - على ربه هيناً مهيناً، من قولهم: ظهرت به، إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه، وهذا نحو قوله: ﴿أَزَلَّكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رِيبَهُ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

مثال ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ والمراد: إلا فعل من شاء واستثنائه عن الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال: ما أطلب منك ثواباً على ما سعت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب، ولكن صورته هو بصورة الثواب وسماه باسمه، فأفاد فائدتين، إحداهما: قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله، كأنه يقول لك: إن كان حفظك لمالك ثواباً فإني أطلب الثواب، والثانية: إظهار الشفقة البانغة وأنت إن حفظت مالك: اعتد بحفظك ثواباً ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب. ولعمري إن رسول الله - ﷺ - كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه. ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلاً: تقريبهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة. وقيل: المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ يَتُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ ﴿٥٨﴾

أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شروهم، مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده، وعرفه أن الحي الذي لا يموت، حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون. وعن بعض السلف أنه قرأها فقال: لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق، ثم أراه أن ليس إليه من أمر عباده شيء، آمنوا أم كفروا، وأنه خير بأعمالهم كاف في جزاء أعمالهم.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْئَلُ

بِهِ خَيْرًا﴾ ﴿٥٩﴾

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يعني في مدة: مقدارها هذه المدة، لأنه لم يكن حينئذٍ نهار ولا ليل. وقيل: ستة أيام من أيام الآخرة، وكل يوم ألف سنة. والظاهر أنها من أيام الدنيا. وعن مجاهد: أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة. ووجهه أن يسمي الله لملائكته تلك الأيام

المقدرة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه، جرت التسمية على هذه الأيام. وأما الداعي إلى هذا العدد - أعني الستة دون سائر الأعداد - فلا نشك أنه داعي حكمة، لعلمنا أنه لا يقدر تقديرأ إلا بداعي حكمة، وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته. ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر، وحملة العرش ثمانية، والشهور اثني عشر، والسموات سبعا والأرض كذلك، والصلوات خمسا، وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك. والإقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله، وبأن ما قدره حق وصاب هو الإيمان. وقد نص عليه في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكَهُ وَمَا جَعَلْنَا عَدِيَّهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرِزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۗ﴾ [المدثر: ٣١] ثم قال: ﴿وَمَا يَمْلِكُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۗ﴾ [المدثر: ٣١] وهو الجواب أيضا في أنه لم يخلقها في لحظة، وهو قادر على أن يخلقها في لحظة، تعليماً لخلق الفرق والتثبت. وقيل: اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيداً للمسلمين. الذي خلق مبتدأ. و﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبره. أو صفة للحي، والرحمن: خبر مبتدأ محذوف. أو بدل عن المستتر في استوى. وقرئ: الرحمن، بالجر صفة للحي. وقرئ: فسل؛ والباء في به صلة سل، كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ١٥٣/٢ [المعارج: ١] كما تكون عن صلته في نحو قوله: ﴿ثُمَّ لَنُنَازِلَنَّ بِيَوْمِيذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فسأل به؛ كقوله: اهتم به، واعتنى به؛ واشتغل به. وسأل عنه كقولك: بحث عنه؛ وفتش عنه، ونقر عنه. أو صلة خيرأ؛ وتجعل خيرأ مفعول سل، يريد: فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته. أو فسل رجلاً خيرأ به وبرحمته. أو: فسل بسؤاله خيرأ؛ كقولك: رأيت به أسدا، أي برؤيته. والمعنى: إن سألته وجدته خيرأ. أو تجعله حالاً عن الهاء، تريد: فسل عنه عالماً بكل شيء. وقيل: الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة، ولم يكونوا يعرفونه: فقيل: فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب؛ حتى يعرف من ينكره. ومن ثمة كانوا يقولون: ما نعرف الرحمن إلا الذي باليامة، يعنون مسيلمة. وكان يقال له: رحمن اليامة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْتَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۗ﴾

﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم. والسؤال عن المجهول بـ«ما». ويجوز أن يكون سؤالاً عن معناه، لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم. أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي للذي تأمرناه؛ بمعنى تأمرنا سجوده: على قوله: أمرتك

الخير. أو لأمرك لنا. وقرئ بالياء، كأن بعضهم قال لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد ﷺ. أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو. وفي ﴿وَرَادَهُمْ﴾ ضمير ﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ لأنه هو المقول.

﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (١٦)

البروج: منازل الكواكب السبعة السيارة: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت: سميت بالبروج التي هي القصور العالية؛ لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها. واشتقاق البرج من التبرج؛ لظهوره. والسراج: الشمس كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ [توح: ١٦]، وقرئ، سرجا، وهي الشمس والكواكب الكبار معها. وقرأ الحسن والأعمش: وقمرأ منيرا، وهي جمع ليلة قمرء، كأنه قال: وذا قمر منيرا؛ لأن الليالي تكون قمرأ بالقمر، فأضافه إليها، ونظيره - في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه - قول حسان [من الكامل]:

بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّجِيْقِ السُّنْسَلِ (١)

يريد: ماء بردى، ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر، كالرشد والرشد، والعرب والعرب.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (١٧)

الخلفة من خلف، كالركبة من ركب: وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر. والمعنى: جعلهما ذوي خلفه، أي: ذوي عقبه، أي: يعقب هذا ذلك وذلك هذا. ويقال: الليل والنهار يختلفان، كما يقال: يعتقبان. ومنه قوله: ﴿وَإِخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ [البقرة: ١٦٤] ويقال: بفلان^(٢) خلفه واختلاف، إذا اختلف كثيرا إلى متبرزه. وقرئ: يذكر ويذكر. وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه -: يتذكر. والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر، فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال إلى حال، وتغيرهما من ناقل ومغير. ويستدل بذلك على عظم قدرته، ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار، كما قال عز وعلا: ﴿وَمَنْ رَحِمْتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُبُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣]. أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين، من فاته في أحدهما

(١) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير آية ١٩ من سورة البقرة فراجع إن شئت اهـ.

(٢) قوله «ويقال بفلان خلفه لعله: لفلان. (ع)

ورده من العبادة قام به في الآخر. وعن الحسن - رضي الله عنه -: من فاته عمله من التذکر والشکر بالنهار كان له في الليل مستعتب. ومن فاته بالليل: كان له في النهار مستعتب.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٣)

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ خبره في آخر السورة. كأنه قيل: وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة. ويجوز أن يكون خبره ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وأضافهم إلى الرحمن تخصيصاً وتفضيلاً. وقرئ: وعباد الرحمن. وقرئ: يمشون ﴿هَوْنًا﴾ حال، أو صفة للمشى، بمعنى: هينين. أو: مشياً هيناً؛ إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة. والهون: الرفق واللين. ومنه الحديث «أحب حبيبك هوناً ما» (١٠٦٩)، وقوله:

١٠٦٩ - روي من حديث أبي هريرة، وابن عمر وابن عمرو.

أما حديث أبي هريرة: فرواه الترمذي (٣٦٠/٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض الحديث (١٩٩٧)، حدثنا أبو كريب حدثنا سويد بن عمرو الكلبي عن حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أراه رفعه قال: «أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغضك يوماً ما، وأبغض بغضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما». ورواه الطبراني في الأوسط (١٠٥/٧ - ١٠٦) رقم (٦١٨١).

وأما حديث ابن عمر: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، كما في المجمع (٩١/٨) من حديث أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: عن جميل بن زيد عن ابن عمر عن النبي - ﷺ - به. ورواه ابن حبان في الضعفاء والمتروكين (١٥٢/٢) في ترجمة عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي. والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٧٣٩).

وأما حديث ابن عمرو: فرواه الطبراني في الكبير والأوسط؛ كما في المجمع (٩١/٨)، وقال الهيثمي: «وفيه محمد بن كثير النهري وهو ضعيف». ورواه البيهقي في الشعب (٢٦٠/٥) باب الاقتصاد في النفقة، وتحريم أكل المال الباطل الحديث (٦٥٩٣) موقوفاً على علي بن أبي طالب.

قال الزيلعي (٤٩٩/٢) وقال الدارقطني في علله: لا يصح رفعه، والصحيح عن علي، موقوف. انتهى.

ولم يعزه الطيبي إلا للشهاب، وهو في الشهاب عن ابن عمر، وأسنده القضاعي في مسند الشهاب بسند الطبراني، عن ابن عمر، وقال ابن طاهر في كلامه على أحاديث الشهاب: هذا حديث يرويه سويد بن عمرو الكلبي، عن حماد بن سلمة، عن أيوب وهشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً، وسويد هذا يضع الأسانيد الصحيحة على المتن الواهية.

ورواه أيضاً كذلك الحسن بن دينار: عن ابن سيرين: عن أبي هريرة، والحسن هذا متروك. ورواه أيضاً الحسن بن أبي جعفر الجفري: عن أيوب وهو متروك، كلهم رفعوه، ولا يصح رفعه، وإنما هو عن علي موقوف، والله أعلم.

وحديث الحسن بن أبي جعفر في فوائد تمام أخرجه عنه: عن أيوب، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً.

«المؤمنون هينون لينون» (١٠٧٠)، والمثل: إذا عَزَّ أخوك فهن. ومعناه: إذا عاسر فياسر. والمعنى: أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع، لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً، ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الأسواق، ولقوله: ﴿وَيَكْتُمُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]. ﴿مَلَكًا﴾ تسلماً منكم لانجاهلكم، ومتاركة لا خير بيننا ولا شر، أي: تتسلم منكم تسلماً، فأقيم السلام مقام التسلم. وقيل: قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم. والمراد بالجهل: السفه وقلة الأدب وسوء الرعة^(١) من قوله [من الوافر]:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(٢)

= وأخرجه أيضاً، من طريق محمد بن إسحاق بن خزيمة: ثنا يحيى بن الفضل العنزي، ثنا أبو عامر العقدي، ثنا هارون بن إبراهيم الأهوازي، عن ابن سيرين، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، عن علي مرفوعاً... فذكره.

ورواه ابن حبان في كتاب الضعفاء بسند الترمذي، وأعله بسويد، وقال: إنه يضع المتون الواهية على الأسانيد الصحيحة، لا يجوز الاحتجاج به بحال، وليس هذا من حديث أبي هريرة، وإنما هو من قول علي بن أبي طالب، وقد رفعه الحسن بن أبي جعفر: عن أيوب، عن حميد بن عبد الرحمن، عن علي، وهو خطأ فاحش. انتهى.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي من رواية أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة تفرد به سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن أيوب قال الترمذي: غريب. وقال ابن حبان في الضعفاء: سويد بن عمرو يضع المتون الواهية على الأسانيد الصحيحة. وليس هذا من حديث أبي هريرة. وإنما هو من قول علي - رضي الله عنه - وقد رفعه الحسن بن أبي جعفر عن أيوب عن حميد بن عبد الرحمن عن علي. وهو خطأ فاحش. ورواية الحسن بن أبي جعفر في فوائد تمام، وأخرجه ابن عدي من طريق الحسن بن دنيا - عن ابن سيرين عن أبي هريرة. قال: الحسن بن دنيا - أجمعوا على ضعفه ورواه الطبراني في الأوسط. من رواية أبي الزناد عن الأعرج. عن أبي هريرة، لكن الراوي له عن أبي الزناد متروك. وهو عباد بن كثير، وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الطبراني وفيه أبو السلط الهروي. وهو متروك وعن ابن عمرو بن العاص أخرجه أيضاً من طريق محمد بن كثير الضمري. عن ابن لهيعة، عن أبي نهشل عنه وهذا إسناد واه جداً. والمعروف عن علي. أخرجه البيهقي في الشعب في الحادي والأربعين من رواية أبي إسحاق عن صبرة بن يزيد ثم عن علي - وقال الدارقطني: الصحيح على علي موقوف. انتهى.

١٠٧٠ - رواه ابن المبارك في الزهد (١/١٣٠) رقم (٣٨٧)، قال: أخبرنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: قال رسول الله - ﷺ -: «المؤمنون هينون لينون كالجمال الأنف الذي إن قيد انقاد، وإذا أتبع على صخرة استاخ».

- (١) قوله «وسوء الرعة» في الصحاح: يقال: فلان سيء الرعة، أي: قليل الورع. وفيه: قيل ذلك الورع - بكسر الراء -: الرجل التقى. وقد ورع يرع - بالكسر فيهما - ورعا ورعة. (ع)
- (٢) تقدم.

بذكر دعوتهم هذه، إيداناً بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، ﴿سَاءَتْ﴾ في حكم «بئست» وفيها ضمير مبهم يفسره: مستقرّاً. والمخصوص بالذم محذوف، معناه: ساءت مستقرّاً ومقاماً هي. وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خيراً لها. ويجوز أن يكون ﴿سَاءَتْ﴾ بمعنى: أجزنت. وفيها ضمير اسم إن. و﴿مُسْتَقَرّاً﴾ حال أو تمييز، والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين، وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ﴿١٧﴾

قرئ (يقتروا) بكسر التاء وضمها. ويقتروا، بتخفيف التاء وتشديدها. والقتر والإقتار والتقتير: التضييق الذي هو نقيض الإسراف. والإسراف: مجاوزة الحد في النفقة. ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير. وبمثله أمر رسول الله ﷺ - ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقيل: الإسراف إنما هو الإنفاق في المعاصي، فأما في القرب فلا إسراف. وسمع رجل رجلاً يقول: لا خير في الإسراف. فقال: لا إسراف في الخير. وعن عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه، فقال: وصلت الرحم وفعلت وصنعت، وجاء بكلام حسن، فقال ابن لعبد الملك: إنما هو كلام أعده لهذا المقام، فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر، فسأله عن نفقته وأحواله فقال: الحسنة بين السيتين، فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنته: يا بني، أهذا أيضاً مما أعده؟ وقيل: أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا لا يأكلون طعاماً للتعنم واللذة، ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة، ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم، ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحرّ والقرّ^(١). وقال عمر - رضي الله عنه -: كفى سرفاً أن لا يشتري رجل شيئاً إلا اشتراه فأكله ١٠٧١، والقوام: العدل بين الشيتين لاستقامة الطرفين واعتدالهما. ونظير القوام من الاستقامة: السواء من الاستواء. وقرئ:

١٠٧١ - أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧١/٢) ثنا ابن عيينة عن رجل عن الحسن عن عمر.

قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق في التفسير عن ابن عيينة عن رجل عن الحسن عن عمر بن الخطاب، وهذا منقطع من طريقه. رواه الثعلبي. ورواه أحمد في الزهد عن إسماعيل عن يونس عن الحسن كذلك، ورواه ابن ماجه، وأبو يعلى، والبيهقي في الشعب من طريق نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس - رضي الله عنه - مرفوعاً، والأول أصح. انتهى.

(١) قوله «والقر» أي البرد. (ع)

قواماً. بالكسر، وهو ما يقام به الشيء. يقال: أنت قوامنا، بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص، والمنصوبان أعني ﴿بَيِّنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾: جائز أن يكونا خبرين معاً، وأن يجعل بين ذلك لغواً، وقواماً مستقراً. وأن يكون الظرف خبراً، وقواماً حالاً مؤكدة. وأجاز الفراء أن يكون ﴿بَيِّنَ ذَلِكَ﴾ اسم كان، على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن، كقوله [من البسيط]:

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقْتُ (١)

وهو من جهة الإعراب لا بأس به، ولكن المعنى ليس بقوي: لأن ما بين الإسراف والتقتير قوام لا محالة، فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا سَابِقًا ۖ يُجْزَىٰ ۖ أَجْرًا حَسَنًا مِمَّا كَانَتْ تَعْمَلُ ۚ وَلَكَ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿حَرَّمَ﴾ أي حرّمها. والمعنى: حرّم قتلها. و﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ متعلق بهذا القتل المحذوف. أو بلا يقتلون، ونفي هذه المقيحات العظام على الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين، للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم، كأنه قيل: والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه. والقتل بغير الحق: يدخل فيه الوأد وغيره. وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل الله نذراً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» ١٠٧٢، فأنزل الله تصديقه. وقرئ: يلق فيه أثاماً. وقرئ: يلقى، بإثبات الألف، وقد مر مثله. والآثام: جزاء الإثم، بوزن الوبال والنكال ومعناهما،

١٠٧٢ - أخرجه البخاري (٤٣٨/٩) كتاب التفسير، باب قوله: «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر... الحديث (٤٧٦١)، وأطرافه في (٤٤٧٧ - ٦٠٠١ - ٦٨١١ - ٧٥٢٠ - ٧٥٣٢)، ومسلم (٣٥٧/١) كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب الحديث (١٤١ - ١٤٢ / ٨٦). وأبو داود (٧٠٥/١) كتاب الطلاق، باب في تعظيم الزنا، الحديث (٢٣١٠). والترمذي (٣٣٦/٥) في التفسير، باب ومن سورة الفرقان الحديث (٣١٨٢)، (٣١٨٣). والنسائي (٨٩/٧ - ٩٠) كتاب التحريم، باب ذكر أعظم الذنوب. ورواه في التفسير الحديث رقم (٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩)، وأحمد في المسند (٣٨٠/١ - ٤٣٤ - ٤٦٢). =

(١) تقدم.

قال [من الوافر]:

جَزَى اللّهُ ابْنَ عَزْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عَقُوقاً وَالْعُقُوقُ لَهُ أَثَامٌ^(١)

وقيل هو الإثم. ومعناه: يلقي جزاء أثام. وقرأ ابن مسعود - رضي الله عنه -: أياماً^(٢)، أي شدائد. يقال: يوم ذو أيام: لليوم العصيب. ﴿يُضَعَّفُ﴾ بدل من يلقي؛ لأنهما في معنى واحد؛ كقوله [من الطويل]:

مَتْنِي تَأْتِنَا تُلْمِيْمٌ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْباً جَزْلاً وَنَاراً تَأْجِجاً^(٣)

وقرئ: يضعف، ونضعف له العذاب، بالنون ونصب العذاب. وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال، وكذلك ﴿يَخْلُدُ﴾ وقرئ: ويخلد، على البناء للمفعول مخففاً ومثقلاً، من الإخلاق والتخليد. وقرئ: وتخلد، بالتاء على الالتفات ﴿يَبْدُلُ﴾ مخفف ومثقل، وكذلك سيئاتهم. فإن قلت: ما معنى مضاعفة العذاب وإبدال السيئات حسنات؟ قلت: إذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعاً، فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه. وإبدال السيئات حسنات: أنه يمحوها بالتوبة، ويثبت مكانها الحسنات: الإيمان، والطاعة، والتقوى. وقيل: يبذلهم بالشرك إيماناً، ويقتل المسلمين: قتل المشركين، وبالزنا: عفة وإحصاناً.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (٧١)

يريد. ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله ﴿مَتَابًا﴾ مرضياً عنده مكفراً للخطايا محصلاً للثواب. أو فإنه تائب متاباً إلى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون، والذي يحب التوابين ويحب

= وابن حبان في صحيحه (٢٦١/١٠ - ٢٦٢) رقم (٤٤١٤ - ٤٤١٥) والبيهقي (١٨/٨)، كتاب الجنائيات، باب قتل الولدان. والبعوي في شرح السنة (١٠٤/١) رقم (٤٢ - بتحقيقنا). قال الحافظ: متفق عليه من رواية أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عنه. انتهى.

- (١) العقوق - بالفتح -: كثير العقوق بالضم، وهو منع بر الوالدين وقطع صلتهما - والأثام - كالوبال -: جزاء الإثم. وقيل: هو الإثم، فسمي به مسيبه وهو الجزاء، ومفعول جزى الثاني محذوف. وعقوقاً خبر أمسى. والعقوق: مبتدأ، أي: لا يد للعقوق من جزاء سيء عظيم.
- البيت لشافع الليثي، ينظر لسان العرب (أثم)، بلا نسبة في تهذيب اللغة (١٥/١٦٦)، ينظر مجاز القرآن (٢/٨١)، البحر المحيط (٦/٥١٥)، الدر المصون (٥/٢٦٤).
- (٢) قوله «أياماً» وفي الصحاح «الأيام»: الدخان. (ع)
- (٣) تقدم.

المتطهرين، وفي كلام بعض العرب: لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد، والظمان الوارد، والعقيم الوالد، أو: فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً وأي مرجع.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٦﴾﴾

يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها، تنزهاً عن مخالطة الشر وأهله، وصيانة لدينهم عما يثلمه؛ لأن: مشاهد الباطل شركة فيه، ولذلك قيل في النظارة إلى كل ما لم تسوغه الشريعة: هم شركاء فاعليه في الإثم؛ لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا به، وسبب وجوده، والزيادة فيه؛ لأن الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر إليه، وفي مواضع عيسى بن مريم - عليه السلام - إياكم ومجالسة المخاطئين، أنهم لا يشهدون شهادة الزور، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وعن قتادة: مجالس الباطل، وعن ابن الحنفية: اللغو والغناء. وعن مجاهد: أعياد المشركين. اللغو: كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح. والمعنى: وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به. مروا معرضين عنهم، مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي إِلَيْهِمْ شَيْئاً﴾ [القصص: ٥٥] وعن الحسن - رضي الله عنه -: لم تسفهم المعاصي. وقيل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا. وقيل: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا﴾ ليس بنفي للخروج. وإنما هو إثبات له، ونفي للصمم والعمى، كما تقول: لا يلقاني زيد مسلماً، هو نفي للسلام لا للقاء. والمعنى: أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكر بها وهم في إكبابهم عليها، سامعون بأذان واعية، مبصرون بعيون راعية، لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها، مظهرين الحرص الشديد على استماعها، وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٨﴾﴾

قريء: ذريتنا، وذرياتنا. وقرة أعين، وقرات أعين. سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عمالاً لله، يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم. وعن محمد بن كعب: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: هو الولد إذا رآه يكتب الفقه. وقيل: سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم

في الجنة ليتم لهم سرورهم. أراد. أئمة، فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: ٦٧] أو أرادوا اجعل كل واحد منا إماماً. أو أراد جمع أم، كصائم وصيام. أو أرادوا اجعلنا إماماً واحداً لاتحادنا واتفاق كلتنا. وعن بعضهم: في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها. وقيل: نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة. فإن قلت: (من) في قوله: ﴿مَنْ أَرْزَحَكَ﴾ ما هي؟ قلت: يحتمل أن تكون بيانية، كأنه قيل: هب لنا قرّة أعين، ثم بينت القرّة وفسرت بقوله: من أزواجنا وذرياتنا. ومعناه: أن يجعلهم الله لهم قرّة أعين، وهو من قولهم: رأيت منك أسداً، أي: أنت أسد، وأن تكون ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح. فإن قلت: لم قال ﴿قُرّةً أَعْيُنٍ﴾ ففكر وقل: قلت: أما التنكير فلأجل تنكير القرّة؛ لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيهه إلا بالتنكير المضاف إليه، كأنه ٥٤/٢ ب قيل: هب لنا منهم سروراً وفرحاً. وإنما قيل ﴿أَعْيُنٍ﴾ دون عيون؛ لأنه أراد أعين المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١) [سبا: ١٣]، ويجوز أن يقال في تنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾ أنها أعين خاصة، وهي أعين المتقين.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا كَسَبُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبِيبَةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلِيدٍ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾

المراد يجزون الغرفات وهي العلالى في الجنة، فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبا: ٣٧]، وقراءة من قرأ: في الغرفة ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بصبرهم على الطاعات، وعن الشهوات، وعن أذى الكفار ومجاهدتهم. وعلى الفقر وغير ذلك. وإطلاقه لأجل الشيع في كل مصبور عليه. وقرئ: يلقون، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَنَّهُمْ نَفْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] ويلقون، كقوله تعالى: ﴿يَلْقَى أَتَمًا﴾ [الفرقان: ٦٨]. والتحية: دعاء بالتعمير. والسلام: دعاء بالسلامة، يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم. أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد

(١) قال محمود: «إن قلت: لم قلل الأعين إذ الأعين صيغة جمع قلة؟ قلت: لأن أعين المتقين قليل بالإضافة إلى غيرهم، يدل على ذلك قوله: وقليل من عبادي الشكور؛ قال أحمد: والظاهر أن المحكي كلام كل أحد من المتقين، فكأنه قال: يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين، وهذا أسلم من تأويله؛ فإن المتقين وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلاً إلا أنهم في أنفسهم على كثرة من العدد. والمعتبر في إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلاً في نفسه لا بالنسبة والإضافة. والله أعلم.

مع السلامة عن كل آفة. اللهم وفقنا لطاعتك، واجعلنا مع أهل رحمتك، وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك.

﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (٧٧)

لما وصف عبادة العباد، وعدّد صالحاتهم وحسناتهم، وأثنى عليهم من أجلها، ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة: أتبع ذلك بيان أنه إنما اكثرث لأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكركم ووعدهم ما وعدهم، لأجل عبادتهم، فأمر رسوله أن يصرح للناس، ويجزم لهم القول بأن الاكثرث لهم عند ربهم، إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكثرث لهم البتة ولم يعتدّ بهم ولم يكونوا عنده شيء يبالي به. والدعاء: العبادة. ﴿مَا﴾ متضمنة لمعنى الاستفهام، وهي في محل نصب، وهي عبارة عن المصدر، كأنه قيل: وأي عبء يعبا بكم لولا دعاؤكم. يعني أنكم لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم. وحقيقة قولهم ما عبأت به: ما اعتدّدت به من فوادم همومي ومما يكون عبئاً عليّ، كما تقول: ما اكثرثت له، أي: ما اعتدّدت به من كوارثي ومما يهمني. وقال الزجاج في تأويل ﴿مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي﴾: أي وزن يكون لكم عنده؟ ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ يقول: إذا أعلمتكم أن حكمي أنني لا أعتدّ بعبادي إلا عبادتهم، فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي، فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار. ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه: إن من عادتي أن أحسن إلى من يطعيني ويتبع أمري، فقد عصيت فسوف ترى ما أحلّ بك بسبب عصيانك. وقيل: معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام. وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة. فإن قلت: إلى من يتوجه هذا الخطاب؟ قلت: إلى الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون، فخطبوا بما وجدوا في جنسهم من العبادة والتكذيب. وقرئ: فقد كذب الكافرون. وقيل: يكون العذاب لزماً. وعن مجاهد - رضي الله عنه -: هو قتل يوم بدر، وأنه لوزم بين القتلى لزماً، وقرئ: لزماً، بالفتح بمعنى اللزوم، كالثبات والثبوت. والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعد به، لأجل الإبهام وتناول ما لا يكتنه الوصف، والله أعلم بالصواب.

عن رسول الله - ﷺ -: «من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأدخل الجنة بغير نصب» (١٠٧٣).

١٠٧٣ - تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي. انتهى.